سلسلة إصدارات دار الفقيه المقاوم (2)

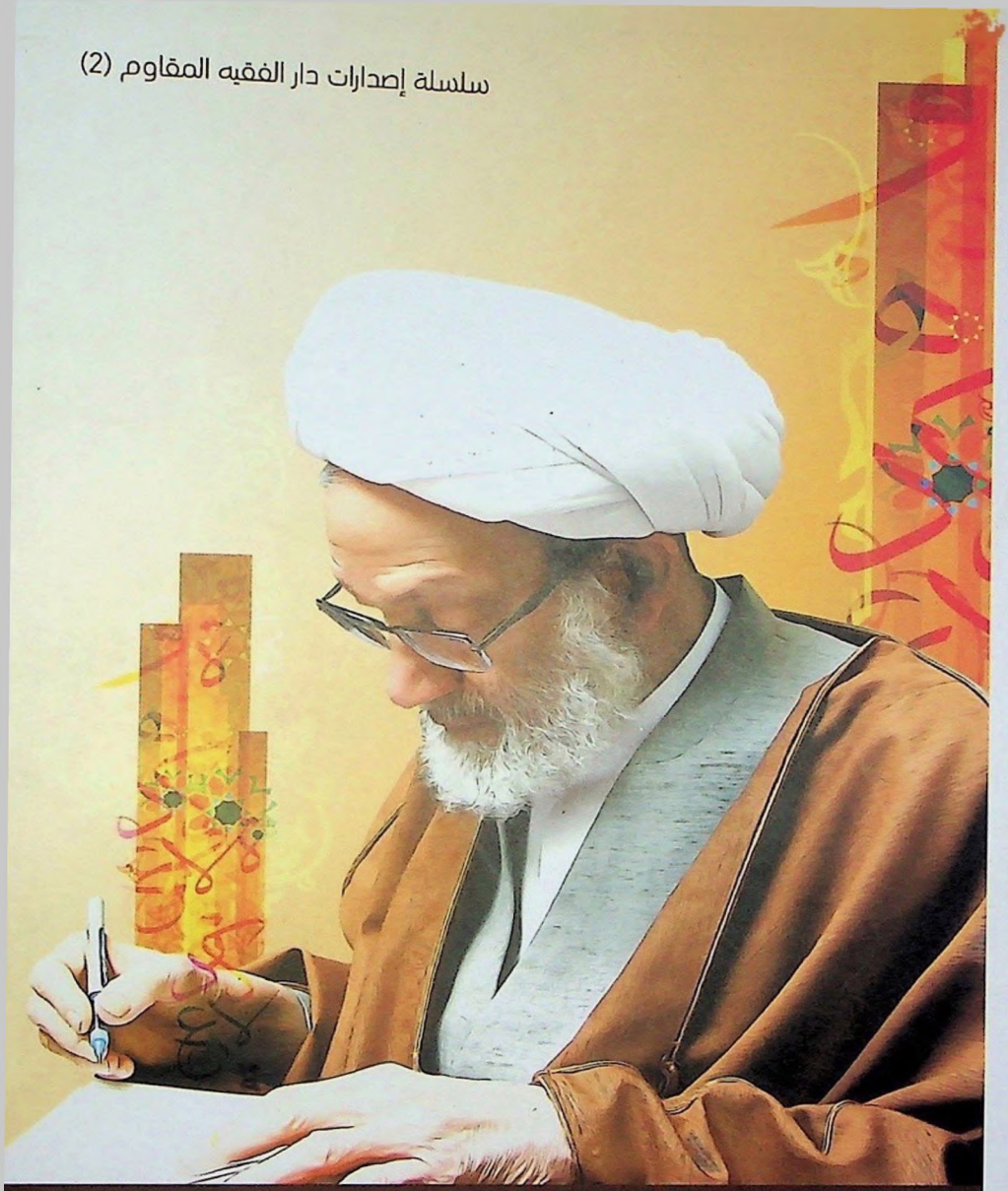

إضاءات فكرية | من خطابات آية الله قاسم

الشيخ غازي عبد الحسن السمّاك

دار الفقيه المقاوم
لحفظ ونشر آثار آية الله قاسم

إهداء إلى صديقي
السيد كنان

من جعفر هادي الجبري
١٦/٩/٢٠٠٧

إضاءات فكرية

من خطابات آية الله قاسم

صوت البحرين
VOICE OF BAHRAIN
WWW.VOB.ORG

المحتويات

كلمة الدار ١١
المقدمة ١٥
مفهوم القيادة ووعي الانقياد ١٧
تمهيد ١٧
فطرية القيادة وضرورتها ٢١
مواصفات الدليل إلى الله ﷻ ٢٣
أدلاء الأرض أم أدلاء السماء ٢٤
خطورة منصب القيادة وضرورة التدقيق في الشروط ٢٥
خطأ التشخيص في القيادة ٢٥
الأساس في اختيار القيادة ٢٦
حادثة من واقع النجف الأشرف ٢٨
قيادة الفقيه بعد الإمام المعصوم ٢٩
انقياد الأمة للقيادة الشرعية ٣٠
غياب الانقياد وتعدد القيادات ٣٢
الجماهير بين صمت القيادة ونطقها ٣٧
القيادة والتصدي للشأن العام ٣٨

الجماهير سيف بيد القيادة ٤٠
الجمعيات الإسلامية والقيادة ٤١
أصالة الفهم الإسلامي السياسي ونقاؤه ٤٢
الصحوة الإسلامية ورياح التغيير ٤٧
تمهيد ٤٧
السياسة في الإسلام ٤٧
العودة إلى الإسلام ٤٩
الحكم الوراثي والرؤية الإسلامية ٥٠
الصحوة الإسلامية والربيع العربي ٥٢
يقظة الشعوب ونوم السلاطين ٥٣
الزلزال العنيف ٥٤
الطوفان بدأ لا ليهدأ ٥٦
الوطن العربي بين خريف وربيع ٥٧
لغة الحكومات ولغة الشعوب ٥٨
الحسين عليه السلام ملهم الربيع العربي ٥٩
لغة الشعوب تنتصر ٦٠
حاجز الخوف ورياح التغيير ٦١
القيادة ورياح التغيير ٦١
عناد حكومات وإصرار شعوب ٦٣
خيارات الأنظمة الظالمة ٦٤
الطائفية مخرج الطوارئ عند الحكومات ٦٦
باعة الضمير والدين ٦٩
الوحدة الإسلامية وقلق الأنظمة ٧٠

وعاظ السلاطين وإنكار الظلم ٧١
فتاوى وعاظ السلاطين ٧٢
مسؤولية الأمة تجاه وعاظ السلاطين ٧٤
تساقط العروش والتيجان ٧٥
أُبَّهة الحكم وغرور السلطان ٧٦
الحكومات بين الوظيفة والواقع ٧٨
تبعية الحكومات والقرارات المستوردة ٧٩
ولاء الأوطان لا ولاء الأنظمة ٨١
بيع الأوطان ٨٢
جامعة الدول العربية .. عين ترى وعين لا ترى ٨٤
جامعة الدول العربية بين سوريا والبحرين ٨٧
النصر من عند الله ﷻ ٨٨
الموقف الأمريكي في التعاطي مع الحكومات والشعوب ٨٩
حركات الإصلاح والتغيير بين الأخطار والهواجس ٩٢
الإسلاميون والامتحان الصعب ٩٥
مستقبل الصحوة ورياح التغيير ٩٩
الديمقراطية من منظور إسلامي ١٠١
مقدمة ١٠١
الديمقراطية منهج أو وسلية ١٠٣
منهج الله ﷻ لا منهج الديمقراطية ١٠٤
الديمقراطية وسيلة وليست غاية ١٠٤
شعب بلا قيم وفرد بلا قيم ١٠٤
الديمقراطية الجاهلية ١٠٥

حاكمية الخالق أو حاكمية المخلوق ١٠٥
الحرية المطلقة أسُّ الديمقراطية ١٠٦
الحرية بين الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية ١٠٨
الحرية التكوينية ١٠٩
الحرية التشريعية في المباحات ١١٠
لا حرية تشريعية في فعل المحرمات أو ترك الواجبات ١١٠
الإسلاميون والديمقراطية ١١١
حاجة الديمقراطية إلى البنية التحتية ١١٢
الإسلاميون على قسمين ١١٣
اختيار النظام غير الإسلامي ١١٤
الإسلاميون وإشكالية التصويت ١١٦
الإمام الخميني قدس سره والتصويت على النظام الإسلامي ١١٩
آية الله العظمى السيد السيستاني وقضية الانتخابات ١٢٠
تنوع القائمة الموحدة ١٢٢
الانتخابات شعار مستمر ١٢٣
حكومة الفقيه دستورية وليست استبدادية ١٢٤
موقف سماحة الشيخ من الديمقراطية ١٢٤
انتظار المهدوية وانتظار الديمقراطية ١٢٥
خلاصة الكلام في مسألة الديمقراطية ١٢٩
التكليف الشّرعيّ بين التّشخيص والامتثال ١٣٢
المقدّمة ١٣٢
خطاب العواطف وخطاب العقول ١٣٦
التكليف الشرعيّ شعار مبدئيّ ثابت ١٣٧

التّخطيط للنّصر أمر واجب ١٣٨
تشخيص التّكليف على المستوى الشّخصيّ ١٣٩
تشخيص التّكليف في الساحة السياسية ١٤٠
من يشخّص التّكليف في الشأن السياسيّ العامّ؟ ١٤١
شروط التّشخيص في الشّأن السّياسيّ العامّ ١٤٢
محوريّة التّكليف الشرعيّ والثّبات على الموقف ١٤٣
الطائفيّة البغيضة ١٤٧
الطائفيّة البغيضة ١٥٢
نظريّة الفوضى البنّاءة والدم الحرام ١٥٦
الطائفيّة العباديّة والطائفيّة السياسيّة ١٦١
الجرح العراقيّ وشبح الطائفيّة ١٦٧
أسس الاتّحاد ١٦٩
هل أنت طائفيٌّ؟ ١٧١
عبق الشهادة والحياة الخالدة ١٧٧
تمهيد ١٧٧
حقيقة الشهيد ١٧٧
مقوم الشهادة ١٧٨
الشهادة موت اختياري واع ١٧٩
الشهادة لقاء مع الله عز وجل ١٨٠
الحياة الحقيقية الخالدة ١٨١
أنماط الحياة وقيمتها ١٨٢
الشهيد والرجوع للحياة الدنيوية ١٨٤
الفرار من ميادين الشهادة ١٨٥

الحياة الفانية والرحيل المحتوم ١٨٧
طلب العزة ببذل الدم ١٩١
الشهداء خسرتهم الدنيا وربحتهم الآخرة ١٩٢
شهداء العزة والكرامة ١٩٤
فقه الشهادة ١٩٥
وظيفتنا الإعداد لثقافة عشق الشهادة ١٩٦
حظ الجريح في سبيل الله ١٩٧
ختاماً ١٩٨
المصادر ١٩٩

كلمة الدار

بسم الله الرحمن الرحيم

أكثر من خمسين سنةٍ من العطاء المتواصل، والبذل الّذي يجرُّ لاحقُه سابقَه، ويستنسخ أولُه آخرَه، دون تعثّرٍ في الخُطا، أو تذبذبٍ في الفهم، أو أيّ شطحةٍ تورث الندم..

سماحة الفقيه المقاوم، آيةُ الله الشيخ عيسى أحمد قاسم دام ظله، شخصيّةٌ غنيّة عن التعريف، غير مفتقرةٍ - في عظمتها - إلى التزويق، والتلفيق، واقعُها المشحونُ يحكي رِفعَتَها، دون الحاجة إلى فرضها على الساحة فرضاً، وهذا ما يفسّر انجذاب النخب والجماهير إلى هذه الشخصيّة الفريدة، انجذابَ التسليم، والركون، الّذي يورّث الطمأنينة بسلامة الموقف، والرؤية، والكلمة..

ولهذا وذاك، كان من حقّ هذا العالِم علينا أن نحفظ نتاجَه الثّرّ، الّذي تحرّك في عشرات السنين - وعلى مختلف الساحات الفكريّة، والسياسيّة، والأخلاقيّة، والقرآنيّة، والاجتماعيّة، والإنسانيّة بشكل عامّ - منطلِقاً من قلبٍ سليمٍ، أخلص لله تعالى،

فجعل ما يخرج منه شفاءً للمؤمنين، عذاباً على الظالمين، فكانت: (دار الفقيه المقاوم)، لحفظ ـ ونشر، وتوثيق ـ آثار سماحته؛ لتكون شاهداً على بصماته البيّنة في صياغة الوعي الإسلامي الأصيل، على مدى أجيالٍ متعاقبةٍ، لمجتمع أحبّه، فأحبّوه، وأخلص له، فأخلصوا إليه، على خطّ رضى الله سبحانه وتعالى..

ونطمح في (الدار) أن نُبرِز تراث هذا الرجل في مقاطع مختلفةٍ، قد تكون خافيةً على أبناء هذا الجيل، وأن نوثّقها بموضوعيّة كما خطّتها أنامل مواقفه، وكلماتِه العديدة، وفي مفاصل ـ ومواطن ـ متنوّعةٍ؛ ليكون كلُّ ذلك مناراً يهتدي به عشّاق الإسلام الحركيّ الأصيل، الّذي جاء ليقود الأمّة، ويهديها سبيل الرشاد في الدنيا، والآخرة..

ثمّ نسعى أيضاً إلى أن نُتْبِعَ ذلك بشيء من التحليل، والتفسير، عبر جهود مجموعة من العلماء، والنخب، ليكوّن ذلك حلقة وصلٍ آكد بين سماحته، وبين الجماهير، ويتحقّق به غرض إيصال هذا الفكر النيّر بأنقى ـ وأدقّ ـ صوره؛ لما يشكّله سماحته من مرجعيّةٍ فكريّةٍ، وقياديّةٍ، قلّ نظيرُها، وعزّ مثيلُها..

بين يديكم الإصدار الثاني من إصدارات (دار الفقيه المقاوم)، تحت عنوان: (إضاءاتٌ فكريّةٌ من خطابات آية الله قاسم)، وقد تفضّل بالإجادة به ـ مشكوراً ـ سماحة الشيخ غازي السمّاك (حفظه الله)، مدير جامعة آل البيت العالميّة بقم المقدّسة، ورئيس تحرير مجلة رسالة القلم سابقا، والأستاذ في الحوزة

العلميّة بقم المقدسة، وأحد تلامذة سماحة الشيخ، ممّن تربّوا على يديه، وانفعلوا بهديه..

وقد تناول هذا الكتاب القيّم جانباً مهمّاً من أبعاد هذه الشخصية الفذّة، والّتي تميّزت بعمقها فيه، وغزارة ما تقاطر منها في مجاله؛ ذلك لأنّه يمكن القول بأنّ الجانب الفكريّ المتين لسماحته، هو أساس جميع ما تفرّع عليه من جوانب مميّزةٍ أخرى، جاءت بنمطٍ يعبّر عن هذه الأصالة في هذا الجانب الركنيّ..

ولهذا لا نجد صعوبةً في أن نلمس جوهر هذا البعد منعكساً على جميع أقوال وتحرّكات سماحة الشيخ (حفظه الله)، وهذا ما يُبرِزُ لنا أهمّيّة التركيز على فهم فكره؛ كونه يعبّر عن متّكَإٍ لجميع ما قد رشح من معينه الصافي، وهذا ما يهتمّ ببيانه هذا الإصدار، حيث يحاول أن يجيب عن أهمّ التساؤلات المثارة في الساحة الفكريّة في المجتمعات الإسلاميّة بشكلٍ عامٍّ، وفي المجتمع البحرانيّ بشكلٍ خاصٍّ، فيأتي لمعالجة مفاهيم أساسيّةٍ مثل:

الإمامة والقيادة.

الأطروحة السياسيّة في الإسلام.

القيام والصحوة.

الصراع بين الرؤية الوضعية والإسلامية في حراك الشعوب ضدّ الأنظمة الحاكمة.

الديمقراطيّة ومدى انسجامها مع الفكر الإسلاميّ، وإمكان تكييفها معه.

التكليف الشرعي فيما يرتبط بساحة الشأن العام، وما ينشط في منطقته من إشكاليات.

الطائفية.

الشهادة.

وغير ذلك الكثير، ممّا يُطلب في تفاصيل طيّات هذا السفر القيّم، ليبيّن رؤية سماحة الشيخ حول هذه المفاهيم، وما ينشأ عنها من متعلّقات، ولن تكون هذه الرؤية ـ كالعادة ـ سوى الكلمة الفصل الّتي لا يُعلى عليها، وستُعرف بها قيمة هذا العلم، خصوصاً بعد ضياع الجماهير في زحمة التنظيرات المشوّشة على الحقيقة، فتأتي ـ دائماً ـ رؤية سماحته منقذةً، هاديةً، لتشكّل الملجأ والحصن المنيع، الّذي لا يزيد الجماهير إلّا بعداً عن مدّعي العلم، ومتطفّليه.

ولا يفوتنا في الختام أن نسجّل كلمة شكرٍ صادقٍ، وامتنانٍ مخلَصٍ، نقدّمه لسماحة الشيخ غازي السمّاك (حفظه الله تعالى) على هذا الجهد المبارك، ونرجو أن يكون ذلك محفّزاً لغيره من الأساتذة الأفاضل، في الكتابة حول نتاج سماحته؛ أداءً ـ ولو لليسير ـ من حقّه الكبير.

والحمد لله رب العالمين.

دار الفقيه المقاوم

١٧/ربيع الأول/١٤٣٦هـ

المقدمة

البُعد الفكري هو الدعامة الأساسية لحركة الإنسان في مسيرة حياته الدنيوية والأخروية، سواء كانت الحركة في مسارها الإيجابي أم السلبي، فالمعرفة أصل كل شئ وحقيقته، وقد أشار الإمام علي عليه السلام إلى هذه المسألة في حديثه مع كميل بن زياد (رضوان الله تعالى عليه) حيث قال عليه السلام له: «يا كميل، لا تأخذ إلا عنا تكن منا، ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة»[1].

وحتى الثورات ـ بغض النظر عن إيديولوجياتها ورؤاها الكونية ـ هي في الأصل ثورات ثقافية قبل أن تكون ثورات سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية، وتقويض تلك الثورات وزعزعة أركانها إنما يتحقق أيضا بتجفيف المنابع الثقافية والفكرية لتلك الثورات من خلال عملية الإستئصال وطرح البديل أو عملية التشويه والتمييع أو غيرها من وسائل القمع والإرهاب الفكري.

ولأهمية البعد الفكري ـ مع التسليم ببقية الأبعاد وأهميتها ـ

---

(١) تحف العقول، الحراني، ص١٧١ .

نرى بأن الغارات الثقافية التخريبية التي تشن من خلال الكلمات المسموعة أو المقروءة ـ والتي هي أشد ضراوة من الغارات العسكرية ـ قد استهدفت الساحة الثقافية الإسلامية لتدمير العقل الإسلامي وتغريبه وفصله عن هويته القرآنية، وإبعاده عن هدي النبي الأكرم وآل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، وعزله عن المرجعية الدينية وخط الفقهاء العدول الأمناء على حلال الله وحرامه ودينه.

وبين يدي القارئ الكريم مجموعة من المقالات الفكرية المستلهمة من عطاء عالم رباني ألا وهو ثقة المراجع العظام آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (أعزه الله تعالى)، ذلك العالم الذي جمع بين العلم والعمل، بين الفقه الواعي والسياسة النظيفة، في ظل التعفف والزهد عن تحصيل جاه أو مقام أو ثناء فأفاض عليه رب العزة والجلالة هالة من الوقار والهيبة والنورانية، حيث عشقته قلوب المؤمنين، فأصبح لها المعين الزلال الذي تستقي من عذب منبره وتسترشد من هدي محرابه.

فمن الجدير التوقف عند فكر هذا العالم العملاق ودراسة فكره ومنهجه لكي يستفاد من هذه التجربة الثرة لإثراء واقع العمل الإسلامي والساحة الفكرية والسياسية والاجتماعية.

فلهذا جاءت هذه المحاولة، ومن الله تعالى نستمد العون والموفقية والسداد.

غازي السماك
قم المقدسة
١٧/١٢/٢٠١٤م

مفهوم القيادة ووعي الانقياد

تمهيد

القيادة الشرعية ضرورة من ضرورات الواقع الإنساني في شتى ميادينه، وهي الضمانة لتحقيق القيم الإسلامية والأهداف الربانية ورعايتها والحفاظ عليها.

وهناك رواية قيمة ترسّخ هذه الضرورة في الواقع البشري، رواها الكليني في الكافي الشريف عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن إبراهيم، عن يونس بن يعقوب قال: كان عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه منهم حمران بن أعين، ومحمد بن النعمان، وهشام بن سالم، والطيار، وجماعة فيهم هشام بن الحكم وهو شاب فقال أبو عبد الله عليه السلام: «**يا هشام ألا تخبرني كيف صنعت بعمرو بن عبيد وكيف سألته؟** فقال هشام: يا ابن رسول الله إني أجلك وأستحييك ولا يعمل لساني بين يديك، فقال أبو عبد الله: **إذا أمرتكم بشيء فافعلوا** .قال هشام: بلغني ما كان فيه عمرو بن عبيد وجلوسه في مسجد البصرة فعظم ذلك عليّ فخرجت إليه ودخلت البصرة يوم الجمعة فأتيت مسجد البصرة فإذا أنا بحلقة كبيرة فيها عمرو بن عبيد وعليه شملة سوداء متّزر بها من

صوف، وشملة مرتد بها والناس يسألونه، فاستفرجت الناس فأفرجوا لي، ثم قعدت في آخر القوم على ركبتي ثم قلت: أيها العالم إني رجل غريب تأذن لي في مسألة؟ فقال لي: نعم، فقلت له: ألك عين؟ فقال يا بني أي شيء هذا من السؤال؟ وشيء تراه كيف تسأل عنه؟ فقلت هكذا مسألتي، فقال: يا بني سل وإن كانت مسألتك حمقاء، قلت: أجبني فيه، قال لي سل، قلت: ألك عين؟ قال: نعم قلت: فما تصنع بها؟ قال: أرى بها الألوان والأشخاص، قلت: فلك أنف؟ قال: نعم قلت: فما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة قلت: ألك فم؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أذوق به الطعم، قلت: فلك أذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها؟ قال: أسمع بها الصوت، قلت: ألك قلب؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع به؟ قال: أميِّز به كل ما ورد على هذه الجوارح والحواس، قلت: أوليس في هذه الجوارح غنى عن القلب؟ فقال: لا، قلت: وكيف ذلك وهي صحيحة سليمة، قال: يا بني إن الجوارح إذا شكَّت في شيء شمته أو رأته أو ذاقته أو سمعته، ردته إلى القلب فيستيقن اليقين ويبطل الشك، قال هشام: فقلت له: فإنما أقام الله القلب لشكّ الجوارح؟ قال: نعم، قلت: لا بدّ من القلب وإلا لم تستيقن الجوارح؟ قال: نعم، فقلت له: يا أبا مروان فالله تبارك وتعالى لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماماً يصحح لها الصحيح ويتيقن به ما شك فيه ويترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكّهم واختلافهم، لا يقيم لهم إماماً يردون إليه شكهم وحيرتهم، ويقيم لك إماماً لجوارحك ترد إليه حيرتك وشكك؟! قال: فسكت ولم يقل لي شيئا...

قال: فمن أين أنت؟ قال: قلت: من أهل الكوفة قال: فأنت إذاً هو، ثم ضمني إليه، وأقعدني في مجلسه وزال عن مجلسه وما نطق حتى قمت، قال: فضحك أبو عبد الله عليه السلام وقال: **يا هشام من علمك هذا؟ قلت: شيء أخذته منك وألفته، فقال: هذا والله مكتوب في صحف إبراهيم وموسى»**[1].

وقد ورد في نهج البلاغة ـ أيضا ـ كلام للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في الخوارج لمّا سمع قولهم لا حكم إلا لله. قال عليه السلام: **«كلمة حق يراد بها باطل. نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله: وإنه لا بدّ للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمتع فيها الكافر، ويبلغ الله فيها الأجل، ويجمع به الفيء، ويقاتل به العدو، وتأمن به السبل، ويؤخذ به للضعيف من القوي، حتى يستريح به بر ويُستراح من فاجر»**[2].

فالإمام أمير المؤمنين عليه السلام أراد أن يقرر حقيقة بشرية تتمثل في الحاجة الفطرية للمجتمع إلى القيادة السياسية ـ فضلاً عن كونها حقيقة دينية وشرعية، حيث القيادة المعصومة أو المنصوص عليها من قبل المعصوم بالتعيين الخاص أو العام، هي قيادة يتكامل من خلالها الفرد والمجتمع وطريق موصل إلى الله عزوجل ـ ولم يكن في مقام شرعنة إمرة الفاجر.

والقائد في النظام الإسلامي يضطلع بثلاث مهمات أساسية هي:

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج١، ص٤١٦.
(٢) نهج البلاغة، ص٨٢.

١ ـ المحافظة على نظم المجتمع عبر القيادة السياسية.

٢ ـ تطبيق القوانين الإلهية.

٣ ـ صيانة الدين من التحريف[١].

والشخص الوحيد القادر على القيام بهذه المهام ـ بنحو دقيق، وكامل ومجرد عن كل نقص وخطأ ـ هو المعصوم المصون من، الخطأ في معرفة الأحكام والقوانين الإلهية وفي تطبيقها. كالنبي أو الإمام المعصوم.

أما المجتهد فقد يخطئ في بعض آرائه وقراراته لافتقاده صفة العصمة والمصونية من الخطأ، إلا أن إتباع الفقيه ـ على الرغم من احتمالية خطئه وعدم عصمته ـ مأمور به من قبل الإمام المعصوم في عصر الغيبة الكبرى، فحينئذ تكون طاعة الفقيه ـ في حقيقتها ـ طاعة للإمام المعصوم.

وفيما يلي استعرض مفردتين مهمتين ترتبطان بصلاح الأمة وسعادتها وعزتها ونصرها، وهما مفردة القيادة ومفردة الانقياد، مستوحياً حقيقة المفردتين من فكرِ عملاقٍ نهل واستضاء من معارف القرآن الكريم، وتتلمذ في مدرسة أهل البيت عليهم السلام.

وهو سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) شمس مشرقة تتوزع أشعتها لتستنير منها القلوب فترنو النفوس والأرواح إلى بارئها.

---

(١) راجع كتاب القيادة في الإسلام، الشيخ محمد محمدي ريشهري.

فطرية القيادة وضرورتها:

ضرورة القيادة لممارسة دور الهداية في المجتمع البشري من المسائل الفطرية، فجهل الإنسان وعدم معرفته بكثير من الأمور تلجئه لطلب الدليل والهادي، وإذا نظرنا إلى حاجات الإنسان التي لا تختص بالأمور الدنيوية بل تشمل الأخروية منها، بل هي الأساس في وجوده، نستيقن بهذه الحقيقة.

يقول سماحته في معرض إثباته لضرورة وجود القائد بعد أن يذكر حديثاً عن الإمام الباقر عليه السلام: «يخرج أحدكم فراسخ فيطلب لنفسه دليلا، وأنت بطرق السماء أجهل منك بطرق الأرض، فاطلب لنفسك دليلا»[1]:

القضية معاشة في واقع الإنسان، وأنه كلما جهل شيئاً احتاج إلى المعلم والدليل والهادي، ومن ذلك كما في الحديث أن يطلب قطع بعض فراسخ في أرض يجهل طرقها ودروبها، فيرى نفسه مضطرا إلى الدليل، وتعرف السياحة اليوم هذه الحاجة، وأن هناك أدلاء سياحيين، وفي كل مرافق الحياة يحتاج الجاهل إلى العالم، ويحتاج من لا يدري إلى من يدري، والإمام عليه السلام يقارن بين الحاجة إلى الدليل، يأخذ بالآخر على الطريق الصحيح من طرق الأرض، ويبين الحاجة للتعرف على طرق السماء، طرق رضوان الله تبارك وتعالى، وهي طرق معنوية وليست طرقاً مادية، طرق الحلال والحرام، ما يرضي الله عز وجل وما لا

---

(١) الكافي، الكليني، ج١، ص٤٥٢.

يرضيه، مسألة الأحكام الشرعية، مسألة موضوعها الإنسان المعقّد، الإنسان ذو الأبعاد المختلفة والقوى المتعارضة، والموازنات الخاصة، وذو الهدف المعين، والذي تمتد علاقاته مع بارئه سبحانه وتعالى، ومع الآخرين من الناس، ومع كل شيء في الطبيعة، مع الماضي والحاضر والمستقبل الذي يمكن أن يطل عليه فهم الإنسان، والذي لا يمكن أن يطل عليه فهم الإنسان، قد يدخل في تحديد الحكم من الأبعاد والحيثيات ما لا يعد ولا يحصى، فعلم كل ذلك عند الله ﷻ.

نحن لا نعرف أنفسنا، المرء منا لا يعرف نفسه، فكيف يعرف كل الآخرين؟ ويشرِّع لهم؟ المشرع الحق هو العالم بكل ذرة في هذا الكون، وبكل ما يعج به وجود الإنسان، من أسرار ومعاني، ومقتضيات، وحاجات، وضرورات. نحن بطرق السماء أجهل منا ـ وبيقين ـ من طرق الأرض، وما دمنا نحتاج إلى الدليل في الأرض، فكيف لا نحتاج إلى الدليل بالنسبة إلى طرق السماء؟ الدليل لا بدّ أن يكون خبيرا، والدليل لا بدّ أن يكون صبورا، والدليل لا بدّ أن يكون أمينا، والدليل لا بدّ أن يكون مشفقا، والدليل لا بدّ أن يكون حكيما، من هو ذلك الدليل على طرق السماء؟[1].

---

(١) موقع جمعية التوعية الإسلامية ـ خاص ـ التوعية الإخباري، ١٣/٨/٢٠٠٩م، فعالية دعاء الندبة المركزي الذي نظمته جمعية التوعية وجمعية سيد الشهداء وأقيم بجامع الإمام الصادق عليه السلام بالدراز..

مواصفات الدليل إلى الله ﷻ:

بعد أن طرح سماحته التساؤل الذي يرتبط بتحديد الدليل على طرق السماء، يجيب:

«لا يصلح دليلاً على طرق السماء، إلا من كان له علم عن الله ﷻ[1]، لا يقوم على حدس، على ظن، على استقراب، إنما هو العلم اليقين، ولا بدّ أن يكون ذلك هو المعصوم علماً وعملا.

الحياة محتاجة إلى الدليل، الدليل الخبير، والدليل العلمي، وإذا كانت القضية قضية إسلام، فالدليل لا بدّ أن يكون الخبير بالإسلام.

دليل السياحة لا بدّ أن يكون ملماً بمسألة السياحة، وبمعالم البلد، وما يتحمله السائح وما لا يتحمله، إلى آخر ما يتصل بهذا الاختصاص.

دليل السماء لا يحمل تقديراً للسماء؟[2] دليل على السماء لا يعرف كيف يتوضأ؟ دليل على السماء أن درس هندسة، أن درس جغرافيا، فجاء يتحدث بلسان طويل عن الفقه؟ دليل على السماء مشرَّبة نفسه بالثقافات الغربية الأجنبية ويقف قزماً في نفسه أمامها؟ يزيد، دليلٌ على السماء؟ مروان، دليلٌ على السماء؟ خلفاء معربدون ممن

---

(١) إشارة إلى علم الغيب.

(٢) هنا يتساءل سماحته مستنكرا.

جاءوا متأخرين عن صدر الإسلام يكونون أدلاء على السماء؟[1].

أدلاء الأرض أم أدلاء السماء:

يقول سماحته:

«أهل الأرض إما أن يكون هدفهم الأرض؟ وانشدادهم إلى الأرض؟ وامتدادهم الأرض؟ وعندئذ يمكن أن يكون لهم دليل لا يعرف إلا الأرض، أما أن يكون أهل الأرض مشرئبة أعناقهم إلى السماء، وتطلعهم إلى السماء، وثقتهم في السماء، وحاجة لا تقضى إلا من السماء، ولا يرون هداية لهم إلا من السماء، فهنا تسقط فعالية وصلاحية أدلاء الأرض، على أن أدلاء السماء هم الأكثر خبرة بالأرض، بحاجات الأرض، بمقتضيات الأرض، بحجم الضرورة الأرضية، بدخالة الأرض في صناعة الإنسان كما هم أعلم بطرق السماء، أعلم بطرق الإصلاح والإعمار بالنسبة للأرض.

إنّ الرسول ﷺ هو أخبر خبير بطرق توفير السعادة في الأرض، وبحل مشكلات الأرض، هو الأخبر، هو الأعلم، هو الآمن على كل شيء مما يدخل في سعادة الإنسان، ويأخذ به في المسار الصحيح، سواء ذلك على

---

(١) موقع جمعية التوعية الإسلامية ـ خاص ـ التوعية الإخباري، ١٣/٨/٢٠٠٩م، فعالية دعاء الندبة المركزي الذي نظمته جمعية التوعية وجمعية سيد الشهداء وأقيم بجامع الإمام الصادق عليه السلام بالدراز.

مستوى حاجات الأرض أو الإنسان المتصلة بالسماء. الاقتصاد المتقدم، الاجتماع المتقدم، كل ذلك عند رسول الله ﷺ، وبأكمل صورة[1].

خطورة منصب القيادة وضرورة التدقيق في الشروط:

يقول سماحته:

مسألة الإمامة مسألة مصيرية بالنسبة للإنسان والإسلام، وأقل مواقع القيادة قد تشدد فيه الإسلام. من أصغر المناصب القيادية إمامة الجماعة، وقد وقف الفقه الشيعي الموقف المتشدد في شروط إمام الجماعة، ولم يترك إمامة الجماعة لكل واحد[2].

خطأ التشخيص في القيادة:

إن الخطأ في تشخيص القيادة الشرعية ـ وانتخاب القيادة غير الشرعية ـ مرجعه إلى الخلل في معرفة الله عز وجل، أي أنه يمثل خللاً في الجانب الاعتقادي فيما يرتبط بعلم الله ﷻ وحكمته وعدله ورأفته ورحمته وسائر صفاته الكمالية والجلالية.

يقول سماحته بعد أن يذكر الحديث الوارد عن الإمام الحسين عليه السلام:

---

(١) موقع جمعية التوعية الإسلامية ـ خاص ـ التوعية الإخباري، ١٣/٨/٢٠٠٩م، فعالية دعاء الندبة المركزي الذي نظمته جمعية التوعية وجمعية سيد الشهداء وأقيم بجامع الإمام الصادق عليه السلام بالدراز.

(٢) المصدر السابق.

الجمعيات، ندخل في غربلة للشخصيات، وفي تمحيص، ونتذكر تاريخه، ونبحث عن علاقاته، ونتتبعه ـ إن كنّا على علاقة سابقة بمواقفه ـ هل برهن على حكمة؟ أو كانت تخونه الحكمة كثيرا؟ هل نعثر في شخصيته على المواصفات المطلوبة بدرجة عالية أو لا؟

لا نختار إلا بعد درس، وبعد تمحيص، فكيف بمالك الأشتر حيث يراد والياً على مصر؟ وكيف بأي والٍ يختاره أمير المؤمنين عليه السلام وهو تحت إمرته؟ كم سيدرس أمير المؤمنين عليه السلام شخصية من يريد إرساله والياً على منطقة من المناطق، وهو يستطيع أن يفصله في اليوم الثاني، إلا أن تعيينه يأخذ جهداً من أمير المؤمنين عليه السلام[1].

حادثة من واقع النجف الأشرف:

يقول سماحته:

كانت المرجعية في النجف ـ وقد شهدها المرحوم آية الله زين الدين ـ تفكر في إرسال مندوب لها، مبلِّغ، وكيل، إلى اليمن لوجود ربما بعض الشيعة، فصارت المرجعية تدرس شخصية لإرسالها إلى هذه الوظيفة، اليمن لها تركيبتها الخاصة، ولها واقعها الخاص، تلحظ في الوكيل

---

(١) موقع جمعية التوعية الإسلامية ـ خاص ـ التوعية الإخباري، ١٣/٨/٢٠٠٩م، فعالية دعاء الندبة المركزي الذي نظمته جمعية التوعية وجمعية سيد الشهداء وأقيم بجامع الإمام الصادق عليه السلام بالدراز.

حيثيات قد لا تلحظ فيه لو أريد للعراق أو للبحرين أو غيرهما.

بحث السيد المرجع وأرسل أيضاً الطلب إلى الشيخ زين الدين، وزين الدين في وقتها شاب، وطلب أن يذكر له المواصفات لهذا الوكيل، فوضع الشيخ زين الدين المواصفات التي في ذهنه بين يدي الفقيه المرجع، فما كادوا يعثرون على شخصية لوكالة في أمر محدود، ولكن بلحاظ خصوصية البيئة، وما يمكن أن يعكسه هذا الوكيل عن المذهب، وعن مؤسسة الحوزة، وعن المرجعية العليا، كان لا بدّ من توقف، وكان هناك عسر شديد في العثور على الشخصية المناسبة[1].

قيادة الفقيه بعد الإمام المعصوم:

يقول سماحته:

ما أكثر الأحزاب في البلاد الإسلامية والعربية ـ على المستوى السني وعلى المستوى الشيعي ـ وما أكثر القيادات في البلاد الإسلامية والعربية، بينما تأتينا أحاديث أهل البيت عليهم السلام لتطلب للقيادة شخصاً لا يجهل طرق السماء وهو المعصوم عليه السلام، وإذا خسرنا المعصوم وغيبناه بسوء موقفنا، فمن يأتي بعده؟ إنصافاً من يأتي بعده؟ يؤخّر الخميني ـ

---

(١) موقع جمعية التوعية الإسلامية ـ خاص ـ التوعية الإخباري، ١٣/٨/٢٠٠٩م، فعالية دعاء الندبة المركزي الذي نظمته جمعية التوعية وجمعية سيد الشهداء وأقيم بجامع الإمام الصادق عليه السلام بالدراز.

أعلى الله مقامه ـ ويقدَّم بني صدر؟! بثقافته الغربية وتوجهاته، الغربية؟ ليقود المسلمين إلى السماء، ليأخذ به في اتجاه، الله ﷻ، ليمثل الإسلام؟[1].

انقياد الأمة للقيادة الشرعية:

الانقياد للقيادة الشرعية ـ بعد معرفتها والتسليم بها ـ ضرورة لا تقلّ أهمية عن أصل ضرورة وجود القيادة.

فقائد بلا انقياد كمجتمع بلا قائد، كلاهما ينتجان الفوضى والهرج والمرج. ولا تتوقف حقيقة الانقياد ـ للقيادة الشرعية بعد معرفتها والتسليم بها ـ على الاقتناع بموقف القيادة، بحيث لو لم يقتنع المكلف بموقف القيادة ـ حال كونها قيادة في نظره ـ فيكون في سعة من الانقياد وفسحة منه.

فالانقياد يلازم التسليم بالقيادة الشرعية، وإلا للزم نقض الغرض.

نعم، لكافة الناس إبداء المشورة للقيادة، إلا أن مآل الأمور وحسمها يرجع لقرار القيادة.

يقول سماحته:

الإسلام شدد الشرط، وغلظ الشرط في القيادة، وألزم الأمة إلا أن لا تكون إمعة في أقل من أمر القيادة ـ فضلاً

---

(١) موقع جمعية التوعية الإسلامية ـ خاص ـ التوعية الإخباري، ١٣/٨/٢٠٠٩م، فعالية دعاء الندبة المركزي الذي نظمته جمعية التوعية وجمعية سيد الشهداء وأقيم بجامع الإمام الصادق عليه السلام بالدراز.

عن هذا الأمر المهم جدا ـ على الأمة أن تمحص الأشخاص، أن تدرسهم دراسة كافية، أن تتريث جدا، أن تحتاط جداً في اختيار قادتها.

أما من بعد ذلك وقد أحرزت علماً، وقد أحرزت في الإمام الخميني علماً، وأحرزت فيه عدالة عالية، وخبرة كافية، وإخلاصاً ووفاء، وشجاعة، فليس لها أن تتعامل معه كمقود، والشارع هو القائد، يقول الإمام الخميني كلمة الحرب فتوضع كل إمكانات الأمة للحرب ومن غير نقاش، أمّا لو كان الشارع سيحاسب الإمام الخميني، سيطالب الإمام الخميني بالتعرف على فلسفة الحرب، وعلى الخميني أن يقنع كل واحد واحد من أبناء الأمة بقيمة هذه الحرب، ويجلس مع كل واحد واحد من أبناء الأمة ليتدارس معه هذه الحرب، هو المتهم، هو الجاهل، هو الخائن، وغيرها.

هذا لا يعني أن الإمام الخميني قراره منفرد، عليه أن يستعين برأي أهل الخبرة، وأن يسمع لكل كلمة من كل خبير قادر على أن يقدّم رأيا.

هذا الأمر ليس في المعصوم فقط، كما على ابن عباس أن يشير على علي عليه السلام، وأن يطيعه لو خالف أمير المؤمنين عليه السلام مشورته، عبدالله بن عباس يشير على الإمام عليه السلام في أمر السلم والحرب، في أمور السياسية مطلوب أن يشير، لكن إذا خالف رأيُ علي عليه السلام مشورةَ ابن عباس، فإنّ على ابن عباس أن يطيع علياً عليه السلام، هل هذا خاص بالمعصوم؟

مالك الأشتر لو حكم مصر، وله خبراء يحيطون به، وقدموا له مشورة ـ وعليهم أن يقدموا له مشورة ـ وهذا من النصح، وعليه أن يسمع المشورة ويتفهمها، ويدرسها، لكن إذا وصل به رأيه وهو القائد هناك، إلى مخالفة المشورة، كان على المشيرين أن يطيعوا، وإلا كان المشير هو الحاكم، والحاكم هو المشير على أكبر تقدير[1].

غياب الانقياد وتعدد القيادات:

يقول سماحته:

إنّ أيّ مجهود ديني أو سياسي أو اجتماعي بلا مرجعية ولا مركزية لا يمكن أن يمثّل كياناً معيناً في صورة كائن اجتماعي حي سويّ قادر على مواصلة الطريق، ومقاومة الزمن، ولا بدَّ أن يتمحور حول مرجعية، وينتهي إلى مركزية، أو يواجه الذوبان والتلاشي والموت المحتّم.

ولا مركزية بلا طاعة، ولا مرجعية بلا انقياد، وأرقى ما يرى كثير من أهل الأرض أنهم توصلوا إليه في الحياة السياسية هو انتخابهم للقيادة، ولكنهم بعد انتخابها يسمعون لأوامرها ونواهيها، ويدخلون في الحرب والسلم بتشخيصها، ولو كان تشخيص الكثيرين منهم على خلافها،

---

(١) موقع جمعية التوعية الإسلامية ـ خاص ـ التوعية الإخباري، ١٣/٨/٢٠٠٩م، فعالية دعاء الندبة المركزي الذي نظمته جمعية التوعية وجمعية سيد الشهداء وأقيم بجامع الإمام الصادق عليه السلام بالدراز.

ولولا ذلك لما انتظمت لهم الحياة، ولكان القائد مقودا والمقود قائداً.

وفي حكم العقل والدين لا طاعة بلا موجب، ولم يتشدد طرحٌ بقدر ما تشدد الطرح الديني في أمر الإمامة والقيادة بكل مستوياتها ومواقعها التي من أبسطها إمامة الجماعة، وإمامة الجماعة في مذهبنا لا تجوز لأي واحد، فمن كان مسلماً مؤمناً لم يسعه ـ مختاراً ـ أن يهمل ما اشترطه الإسلام في هذه المواقع كلها.

والملاحظ أنّ الناس على إسلامهم ـ لِما دخلهم من غبش في الرؤية، واختلاط في الثقافة، واضطراب في المفاهيم، وخلل في الشعور بقيمة الإسلام ـ صاروا يختلفون في موجب الطاعة ـ وموجب الطاعة في الإسلام واضح، أما ونحن نبعد عن الإسلام شيئاً فشيئاً فنختلف وسنختلف أكثر في ما هو موجب الطاعة، ولمن تكون الطاعة؟ وعلى من تكون الطاعة؟ ـ ويبتعدون كثيراً عن إسلامهم في هذا المجال كغيره من المجالات.

حتى استساغ مسلمون أن تكون الطاعة لشيوعي يحصل على أكثرية الأصوات.

والأدهى من ذلك والأمرّ أن قاد ضعف الإدراك السياسي والاجتماعي الكثير إلى إنكار الموجب الشرعي والعملي للطاعة إلا ما يضطرهم من موجب القوة والقهر.

وهذا أمر مرعب منذرٌ بأكبر الأخطار التي تتهدد وجود الأمة بما هي أمة ذات هوية حضارية محددة.

لقد كان أمير المؤمنين علي عليه السلام أزهد الناس في الإمرة ولم تكن تساوي عنده شسع نعل كاد يذهب بها الاستعمال[1]، إلا أنه كان يتمزق عليه السلام لأمر الدين والأمة، وكان من رأيه أن لا بدّ من أمير برّ أو فاجر، لأنّ المقابل لذلك الفوضى الضاربة التي تأتي على الأمة بالنهاية القاضية.

وإذا كانت القيادة المعصومة لا تحضر الساحة على مشهد من الناس اليوم لينضوي تحت لوائها المؤمنون، فما الموقف؟

إن أمر الحكومة محسوم من ناحية الخارج، ولا كلام لنا فيه، إنما الكلام على مستوى المرجعية الدينية والاجتماعية، وفي المواقف المتاحة سياسياً حسب القانون، وأنا أحصر كلامي الآن في هذه المساحة.

والسؤال هنا: هل يعني غياب القيادة المعصومة أن يعود أمر المؤمنين إلى الفوضى؟ وهل تبقى مسألة المرجعية بلا ضوابط؟ وهل ترتفع الطاعة نهائياًوتكون القيادات بعدد الأفراد؟

والصحيح: لا فوضى، ولا مرجعية بلا ضوابط، والطاعة غير مرتفعة.

هناك طاعة، هناك مرجعية، والضابط الفقه والعدالة

---

(١) كناية عن كونها بالية.

والكفاءة العملية ومنها الخبرة ـ وأنعى على الذين يرون لأنفسهم الخبرة ويرون أن الخبرة طائر لا يناله فقيه، وسحر يمتنع على الفقيه أن يتوفر عليه، وعلى أي عالم أن يتوفر عليه، وإذا قسموا واستحوا قالوا الفقيه أوفر على الفقه أما نحن فأكثر توفراً على الخبرة، وهو ليس بالإنصاف فقد يكون فقيهاً وأخبر من الآخرين ـ وإذا لم يمكن الفقيه فيتنزل الأمر إلى عدول المؤمنين من أهل الفقه والخبرة والكفاءة.

كلما لم يمكن المعصوم كان الفقيه، وكلما لم يمكن الفقيه كان العدل المؤمن الأكثر توفراً على الفهم الفقهي وبما له من الخبرة، والطاعة لازمة على المؤمن مع توفر الضوابط حفظاً للدين وتجنباً للكوارث.

والسفه الذي لا يجوز ارتكابه هو الفوضى الضاربة وتعدد القيادات بعدد الأفراد، وكون القيادة لا تتحرك ولا تتخذ قراراً إلا بوصاية من الأتباع، فالجمعية الثقافية أو السياسية تنتخب إدارتها عندنا ثم لا تعطيها حق القرار إلا بأن تراجعها، والزعيم السياسي أو الإجتماعي أو الديني ينتخبه مريدوه وقواعده ثم لا يتخذ قراراً إلا كما يشتهون، ولا يتقدم ولا يتأخر إلا كما يأمرون وينهون. أتراها قيادة؟! أو هي آلة؟!

هذا أمر غير عقلائي أصلاً ولا تقوم عليه حياة أمة ولا جماعة، وهو خارج عن النظم الوضعية بما فيها كل ألوان الديمقراطية، وعن الوضع الذي يقرره الدين.

وفيما ينبغي أن يكون عليه علماء الدين هو أن يكونوا

عبيداً للشرع، لا لما تهواه الدول، أو ما يرغبه الرأي العام، وصحيح أن الإسلام على مثاليته واقعي لمن تدبّره، ومثاليته لا تُلغي واقعيته، كما أن واقعيته لا تلغي مثاليته، وهو من خلال واقعيته يُدخل في موضوع أحكامه عدداً من مقتضيات الخارج المتغيرة، إلا أنه إذا اقتضى الموضوع - بطبيعته التي هو عليها خارجاً - الحكم المناسب له في النظر الشرعي لا يرفع الإسلام ولا عالم الدين - الذي يتعامل مع الأمور من موقع العلم والتقوى - اليدَ عن ذلك الحكم تزلفاً لأحد مهما كان، وطلباً للدنيا وزهداً في الآخرة.

وكثيراً ما يخلط العديد من الناس بين مراعاة الموضوع الخارجي في إصدار الأحكام وتغيُّرها وبين متابعة الهوى في الحكم والتلاعب به.

وقد يملأ الناس الساحة آراء ومنهم مخلص وغير مخلص، فطن وغير فطن، وقد يطول السكوت من آخرين عن فطنة، وإخلاص، ودراية، وبعد نظر، وصبر، وقد لا يكون وراء السكوت إلا الخواء، فهو سكوت أبله. وليس دائماً أنّ من تكلم أبلغُ ممن لم يتكلم، وقد لا يُبيحُ بليغٌ لنفسه الكلمةَ حيث لا يرى المقام مقام كلام. والساكت لا يُحكم عليه برأي حتى ينطق برأيه، وهو في سعة من أمره حتى ينطق[1].

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٦٨) بتاريخ ٨ جمادي الأولى١٤٢٣ هـ، ١٩/٧/٢٠٠٢م.

الجماهير بين صمت القيادة ونطقها:

يقول سماحته مخاطباً المجتمع في صلاة الجمعة التي يؤمها في جامع الإمام الصادق عليه السلام:

أسأل هذا المجتمع الكريم: المجتمعُ بِم يُطالب العلماءَ؟

١ ـ بالنطق أو الصمت؟ صمتوا فأعبتم، ونطقوا فغضبتم، ماذا تريدون؟ تريدون التدخل في السياسة أو الاعتزال؟ الحكومات تقول اعتزلوا، الغرب يقول عليكم الاعتزال، الخطط الأجنبية والمحلية في كثير من البلدان قائمة على قدم وساق من أجل إقصاء المسجد وتعطيل دوره في الحياة السياسية بالكامل، هل تشاركون في طرح الاعتزال للعلماء؟ قولوا لنا اعتزلوا.

أتريدون التدخل أو الاعتزال؟ التدخل له ضريبته على العالم وعلى المجتمع.

٢ ـ أتريدون النطق المشروط أو الحر؟ قد يقول المجتمع للعلماء: انطقوا، قولوا كلمة الحق، تدخّلوا ولكن بشرط أن توافق كلمتكم وموقفكم توجه الرأي العام أو النخبة المثقّفة.

اعرضوا هذا الشرط على الله، على رسوله، على الكتاب، على السنة، أمير المؤمنين عليه السلام لم يوافق على البيعة بشرط التقيّد بمسيرة الشيخين.

يا عالم انطق، وتدخّل، ولكن لا تخالف رأينا، أشرط معقول؟ يرضاه عاقل؟ يرضاه دين؟ لا تخالف شرع الله، هذا شرط صحيح.

اقتراحُ النطق المشروط مرفوض من قبل العلماء، ولسنا مع خيار الحكومات، وعلى العلماء أن ينظروا إلى الحكم الشرعي وما يقتضيه؛ اقتضى السكوت فعليهم أن يسكتوا، اقتضى النطق فعليهم أن ينطقوا.

هكذا إذا استطعنا الانسجام مع ديننا. الحكم الشرعي هو المنظور، وهو الحاكم، ومع تقديري لصفوف المؤمنين ولجماهير الأمة إلا أننا لا يكون لنا وزن ولا شأن عند الله حتى نذعن لتشريعه[1].

القيادة والتصدي للشأن العام:

يقول سماحته:

هناك نوعان من القضايا؛ نوع خاص يرتبط بالفرد، ونوع عام يرتبط بالمجتمع.

والناس مسلمون وغير مسلمين، والذين في إطار الإسلام مسلمون وإسلاميون ـ إذا صحّ التفريق ـ ؛ مسلمون عقيدةً ولكن لايتقيدون بالإسلام، وإسلاميون مسلمون على

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٢١٢) بتاريخ ١١ شعبان ١٤٢٦هـ، ١٦/٩/٢٠٠٥م.

كل الأصعدة ويرون أن حياتهم لا بدّ أن تتقيّد في صغيرها وكبيرها بالإسلام.

والإسلاميُّ لا يُفتي نفسه في شؤونه وقضاياه الخاصة ما لم يكن مجتهداً فضلا عن أن يفتي غيره، وفي مسائل الشأن العام أليس كذلك؟

ولكني أقرأ وأسمع وتصلني بعضُ الرسائل ـ التي لا تشرح الموضوع الخارجي فحسب، ولا تكتفي بإعطاء وجهة نظر في الموضوع الخارجي وإنما تُثبت الحكم مع ذلك وتفتي لي ولغيري ـ من شاب كريم أحترم فيه إيمانه ووعيه وغيرته لكن لا أُعطيه الحق في أن يفتي في حقي وفي حق غيري، وهو بإسلامه لا يعطي لنفسه الحق في ذلك.

الإسلاميون الأعزاء المخلصون والغيارى قد يقعون في خطأ وهم يُفتون فتاوى جماهيرية وإن لم تكن باسم الفتوى.

أنت حين تُشخِّص الموضوع المرتبط بالشأن العام وتُصدر الرأيَ المتناسب مع تشخيصك، وتُوجّه الجماهير إلى هذا الرأي، وتدفع بهم دفعاً للأخذ به، فماذا تفعل؟ أنت هنا تفتي وتعمل على تنفيذ فتواك، سمّيتها فتوى أو لم تسمها.

للكل أن يُنظّر، أن يُعطي وجهة نظره في الموضوعات الخارجية، ولكن بحيث لا يرقى بالأمر إلى حدّ أن يدفع بالناس دفعاً حثيثاً في اتجاه ما يراه.

هناك مسائل يكفي فيها أن تعرف الحكم الكُلّي وفتوى الفقيه وأن يتشخّص عندك الموضوع فتعمل بالفتوى، وهناك

أمورٌ لا تكفي فيها الفتوى بل تحتاج إلى حكم ولائي والممارسات القائمة تتجاوز حدّ الفتوى إلى ما يرقى إلى حدّ الحكم الولائي[1].

الجماهير سيف بيد القيادة:

يقول سماحته:

أمّا الجماهير، فلا نصرَ بدونها، ولا استمرارَ لنتائج النّصر بلا حراستها، ومن دون أن تبقى سيفاً مسلولة دائماً بيد قيادتها تخسرُ الأمّة النّصرَ وكلّ النّتائج التي انبَنَت عليه. لكنّ الجماهير دائماً تحتاجُ إلى ما ينتظم أمرها، إلى ما يضمّ خرزها المتناثرة في نظام ـ خيط السّبحة يُسمّى نظام ـ يُعطي ذلك الخرز تناسقه وانتظامه وجماله.

الجماهيرُ تحتاج إلى منبع وعي، وإلى قدوة مبدئيّة، دائماً تحتاج إلى نبي، دائماً تحتاج إلى وصي، دائماً تحتاج إلى فقيه، دائماً تحتاج إلى قيادة. الجماهيرُ يمكن ـ من غير مَن يصون حصن الإسلام ـ أن يُسرَق منها الوعي، أن يُسرَق منها إسلامها في أجواء مخمليّة حريريّة هادئة.

الجماهيرُ يمكن أن ينصرف كلُّ فردٍ منها لشأنه الخاص، حين لا يكون رسول، أو لا يكون إمام، أو لا يكون فقيه، أو لا تكون قيادة، سواءً كانت قيادةً مؤمنة أو قيادة غير مؤمنة في بلدٍ غير مؤمن.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٢١١) بتاريخ ٤ شعبان ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥/٩/٩م.

والقيادة ـ طبعاً والإمامة ـ ليست على مستوى المجتمع الإنساني فقط، كلُّ أنواع الحيوان التي تعيش حالةً اجتماعيّة، ولو فطريّة، يكون لها قائد، ولها إمام، ولها مُرشد.

الذين يُريدون أن يفصلوا جماهير الأمّة عن خطّ الرّسل، عن خطّ الأئمّة، عن خطّ الفقهاء، معنى ذلك أنّهم ينوون قتل هويتها[1].

الجمعيات الإسلامية والقيادة:

يقول سماحته:

لا شك أن جمعياتنا لا تعتبر نفسها مرجعية مستقلة ونهائية، ولا يدخل في ذهنها هذا أبداً، فيتحتم أن تكون مؤسسات تعمل على طريق المرجعية الأخيرة النهائية.

ومرجعية المسلم أولاً وبالذات هو ربه الكريم تبارك وتعالى، يأتي من بعد ذلك بالإذن رسول الله ﷺ، يلحقه أئمة أهل البيت عليهم السلام، يليهم من بعد ذلك الفقهاء العدول[2].

فمرجعية جمعياتنا الإسلامية لا بدّ أن تكون منتهية إلى خط الفقهاء، لتنتهي إلى مرجعية الأئمة عليهم السلام، إلى مرجعية رسول الله ﷺ، إلى المرجعية الحق التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها مرجعية الإله العظيم؛ الله ﷻ.

---

(١) التأبين الذي أقيم بمناسبة الذكرى العشرين لرحيل الإمام الخميني رضوان الله عليه في مسجد مؤمن بالعاصمة المنامة بتاريخ ٤/٦/٢٠٠٩م.

(٢) والكلام عن خط الفقهاء وليس عن فقيه معين (منه (حفظه الله).

المرجعية هنا مرجعية مدرسة وليست مرجعية شخص، كل المسلمين ـ الملتزمين بالإسلام ـ مرجعيتهم الإسلام، ومن رأى أن له مرجعية تنتهي لغير الإسلام فهو ـ على إسلامه ـ ليس بالمسلم الحقّ الملتزم.

وفي الإسلام مدارس، والجمعيات التي تنتمي إلى مدرسة أهل البيت عليهم السلام لا تكون من هذا الخط حتى تكون مرجعيتها مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولا نعرف في الأرض ولا في الدين تمثيلاً لخط مدرسة أهل البيت عليهم السلام يُتيقن بأنه تمثيل مرضي عند الله غير تمثيل الفقهاء العدول الذين أوصى بهم وبمرجعيتهم أهلُ البيت عليهم السلام.

فيتحتم على جمعياتنا الإسلامية من هذه المدرسة لتكون كذلك أن تبرهن دائماً على أن لها مرجعية، وأن مرجعيتها تتمثل في مدرسة أهل البيت عليهم السلام وفقهاء هذه المدرسة العدول[1].

أصالة الفهم الإسلامي السياسي ونقاؤه:

يقول سماحته:

أكبر تمهيد، وأكبر إعداد، ومن أبرز المقدمات لنصرة الإمام (عجل الله تعالى فرجه الشريف) في غيبته، أن نحافظ على الوعي الإسلامي في كل بعد، وفي البعد السياسي بالخصوص.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٣٦) بتاريخ ١٧ ذي القعدة ١٤٢٤هـ، ٩/١/٢٠٠٤م.

إذا انحرف وعينا السياسي عن الإسلام، وتنازلنا عن شرط العلم بالفقه، وتنازلنا عن بعد التقوى والعدالة، أو تنازلنا عن الخبرة، وعن ملاحظة حياة المرء ودراستها وخلفيتها، هل كان حزبياً؟ من نوع آخر؟ هل كان منضماً إلى حزب غير إسلامي؟ كيف كانت طفولته؟ كيف كان شبابه؟ ما هي التجارب التي مر بها مما يمتحن إيمانه ونزاهته؟ وغيرها، إذا تنازلنا عن كل ذلك، سنقبل أن نكون ضد الإمام مع قيادات مناهضة للإمام عليه السلام، ولن نعتبر للإمام عليه السلام ميزة، وسنُتعب الإمام عليه السلام كثيراً إذا انحرف منا الوعي السياسي عن الإسلام، وسنوقف الإمام عليه السلام لو أخذنا بقيادته في كل منعطف منعطف، وفي كل موقف موقف، وفي كل قضية قضية، لنتهمه، لنشكك فيه، لنحاسبه، لنوقفه أمام محكمة الديمقراطية[1].

ويقول سماحته في مورد آخر:

أكبر تحضير جدي ليوم الظهور، وخلق جماهير يسهل عليها أن تلتف براية الإمام عجل الله فرجه، أن نحافظ على المفاهيم الإسلامية وأصالتها ونقاوتها، في كل مساحة الحياة، وفي المرفق السياسي بالخصوص. نحن نطالب بالديمقراطية التي يؤمن بها الآخر ويغلق الباب على

---

(١) موقع جمعية التوعية الإسلامية ـ خاص ـ التوعية الإخباري، ١٣/٨/٢٠٠٩م، فعالية دعاء الندبة المركزي الذي نظمته جمعية التوعية وجمعية سيد الشهداء وأقيم بجامع الإمام الصادق عليه السلام بالدراز.

الإسلام، ويدعي أنه يرضى بالديمقراطية، نحن نرضى بالديمقراطية لحل مشكلات حياتية قائمة، لكن يجب أن يحافظ على الفهم الإسلامي السياسي في عقول أبناء الأمة وفي تعاملهم وواقعهم؛ لأن أي فهم غريب على الإسلام في البعد السياسي، سيفصل أمة الإسلام عن الإمامة. سيكونون غرباء على الإمام، والإمام غريبا عليهم، هو في اتجاه ونحن في اتجاه، هو على فهم ونحن على فهم، نحن نرى أمر القيادة أمراً سهلاً، وأنه يصح لنا أن نسند هذا الموقع إلى كل من هب ودب، بينما الإمام عليه السلام يرى أنه هو الأعرف بطرق السماء والذي لا يخطئ خارطة طرق السماء، ويرى غيره جاهل[1].

ويقول سماحته:

أصحاب الفكر النقي الأصيل، الذين يمثلون محاور الوجود الإسلامي في الأمة قلة، الذي يحتفظون برؤية إسلامية، بقناعتهم الإسلامية في مسألة القيادة، وأن الإمام عجل الله فرجه ضرورة، وأن لا بديل مكانه عند الاضطرار إلا من هو أقرب إليه من فقيه خبير عادل، كفقهائنا الكبار، هذا الوعي يشح في الأمة، ويصعب الثبات عليه للزلزال الثقافي العنيف[2].

---

(١) موقع جمعية التوعية الإسلامية ـ خاص ـ التوعية الإخباري، ١٣/٨/٢٠٠٩م، فعالية دعاء الندبة المركزي الذي نظمته جمعية التوعية وجمعية سيد الشهداء وأقيم بجامع الإمام الصادق عليه السلام بالدراز.

(٢) المصدر السابق.

ويقول سماحته في معرض حديثه عن حقيقة الانتظار للإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف :

تنتظره بوعي من وعيه، وبرؤية من رؤيته، وبشعور من شعوره، وبفهم من فهمه، وبفقه من فقه، وبهدف من هدفه، فحيث أكون شيئا وهو شيء آخر في الفهم ـ في خط الفهم، في سنخ الفهم، وليس في درجة الفهم ـ حيث يكون شيئا وأكون شيئا في سنخ الفهم، وطبيعة الرؤية، ومحتوى الذات، والنظرة السياسية، وشروط ومواصفات القيادة، لا أكون منتظرا له، أنا على خط آخر تماماً، إذا كان تكويني العقلي، وتكويني النفسي، وموقفي العملي، كله على مضادة مع ما عليه موقف الإمام عليه السلام، فكيف أكون منتظراً له.

أنصر الإمام بإبقاء فكره في الأمة، بإشاعة فكره في الأمة، بالمحافظة على نظافة النفوس، على نظافة القلوب، أصنع ما استطعت من نفسك، من ولدك، من ابنتك، شخصية إسلامية، بذلك تكون ذاباً عن الإمام، بماذا؟

وَلَدِيْ إمّا أن يكون على خط الإمام ونصيرا له، وإما أن يكون محارباً له. حيث أُهمله هو محارب للإمام من اليوم، كل الذين يعملون على إفساد الأمة، وعلى إشاعة الشر، وكل الذي يؤثرون سلبا على الإسلام، والوعي الإسلامي، هم محاربون للإمام عجل الله فرجه، في قبالهم من يذب عن الإمام عليه السلام وهم الذين يبنون أنفسهم بناء

إسلامياً، يبنون أولادهم بناء إسلامياً، يبنون بناتهم بناء إسلامياً[1]

(١) موقع جمعية التوعية الإسلامية ـ خاص ـ التوعية الإخباري، ١٣/٨/٢٠٠٩م، فعالية دعاء الندبة المركزي الذي نظمته جمعية التوعية وجمعية سيد الشهداء وأقيم بجامع الإمام الصادق عليه السلام بالدراز.

الصحوة الإسلامية ورياح التغيير

تمهيد

حينما عادت الشعوب العربية إلى إسلامها عادت إليها إرادتها التي طالما كبلتها العروش وأرعبتها التيجان، عادت الإرادة فأشرقت شمس الحرية وألقت بأشعة كرامتها وعزتها وشرفها على ربوع الشعوب، وأحرقت عروش السلاطين. هكذا هو الإسلام، يُعِز من أخذ من عزته، ويهدي من استرشد به، ويحرر من طلب عبودية الله ﷻ وحده، ولا يخيب من اعتصم بحبله. فبالعودة إلى الإسلام تتكسر القيود وتنحني التيجان وتتساقط العروش.

وفيما يلي نستعرض جملة من خطب سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) تتعلّق بالصحوة الإسلامية ورياح التغيير، فكلمات سماحته رائدة في هذه الصحوة ورافدة لها.

السياسة في الإسلام

الطرح السياسي موجود في الإسلام، على الرغم من اختلاف المسلمين في فهم هذا الطرح وكيفية التعاطي معه، فمدرسة الإمامة لا تفكك بين سياسة الدين والدنيا، وتشترط العصمة في الإمام

والاصطفاء من الله ﷻ، استناداً إلى الأدلة العقلية والنقلية، بينما مدرسة الشورى تحصرها في الدنيا وتعطي أهل الحل والعقد حق اختيار الحاكم على ضوء مواصفات دنيوية.

يقول سماحته:

في الإسلام طرح سياسي واحد لا اثنان، ولكن المسلمين اختلفوا حول هذا الطرح، فمدرسة الإمامة غير مدرسة الشورى فهماً لهذا الطرح. تذهب مدرسة الإمامة، وهي تربط بين سياسة الدنيا والدين، بلا تفكيك بينهما فيه - بلا تفكيك بين الإمامة فيهما معاً على الإطلاق -، ولكون إمامة الدين متوقفة على فهمه فهماً دقيقاً مأموناً كاملاً، وتطبيقه كذلك، وعلى حاجة السياسة الدنيوية ونجاحها إلى خط الدين، اقتضى ذلك تعيين الإمام من الله ﷻ، لأنه وحده الذي يعلم بالمعصوم الثابت على العصمة في علمه وعمله، وتستند مدرسة الإمامة مع ذلك إلى عدد من النصوص الواردة في الكتاب الكريم والسنة المطهرة، ومواقف الرسول ﷺ العملية.

وتذهب مدرسة الشورى إلى حق أهل الحل والعقد فيها، في اختيار الإمام على ضوء مواصفات دينية مطلوبة، ولا وقفة هنا للنظر في أي من المدرستين، فالحديث ليس بصدد التحقيق العقدي»[1].

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٨٢) بتاريخ ٢١ محرم ١٤٣٣هـ، ٢٠١١/١٢/١٦م.

العودة إلى الإسلام

عادت أمة الإسلام إليه، وانبعثت الحياة في روحها تحت ظل تعاليم القرآن الكريم وقيادة النبي محمد ﷺ. وهي عودة فيها صحوتها، وحياة عقلها، وإرادتها، وعزتها، وكرامتها، وتحررها من العبودية لغير الله ﷻ.

يقول سماحته:

أمة الإسلام تعود لماضيها عودة حياة لا موت، حركة لا جمود، تقدم لا تراجع، تجدد لا تقادم، ذلك لأنها عودة لقيادة الإسلام، قيادة القرآن، قيادة الرسول ﷺ وهي قيادة لإنماء الحياة ولإثرائها، لتدفقها، لتقدمها، للارتقاء بها، لتخليص حركة الإنسان ـ في إنسانيته الكريمة، وفي إنجازاته المثمرة، وإبداعاته واكتشافاته وإضافاته النافعة ـ من كل معوقاتها، والدفع بها إلى الأمام على الخط القويم.

وإن عودة الأمة إلى هذه القيادة فيها صحوتها، وحياة عقلها، وإرادتها، وفيها حيويتها، ونشاطها، وعزتها وثقتها بنفسها، وقوة عزيمتها، وحريتها، واستقلالها، وإباؤها، ورشدها، وهداها.

العودة إلى الإسلام لا توجد معها هزيمة، ولا يوجد معها كلل، ولا بطر، ولا فساد، ولا إفساد، هي القوة، وهي الاستقامة، وهي الرشد، وهي الصلاح والإصلاح.

ما بقيتم على خط الإسلام لن تضعفوا، ولن تستضعفوا، ولن تضلوا، ولن يضل بكم، ولن تتراجعوا أو

تقهروا، ولن تذلوا، ولن تبطروا أو تستكبروا، ولا بد لكم من النصر وتستحيل عليكم الهزيمة»[1].

الحكم الوراثي والرؤية الإسلامية

الحكم الوراثي خطيئة اقترفها أرباب السياسة في الدولة الأموية، واستن بهذه السنة الأموية من عبد الكراسي وعشقها، وكأن العروش والتيجان خلقت له ولخلفه، باعتبارها إرثا يتوارث وكرة يتلقفها الصبيان. والحكم الوراثي الذي تنتهجه جلّ الأنظمة العربية، حكم لا يمت إلى الإسلام بصلة، لا على نظرية الإمامة ولا على نظرية الشورى، بل ولا على النظرية الديمقراطية التي طالما تغنى بها حكام الجور الذين ورثوا العروش والتيجان من أسلافهم.

يقول سماحته:

وقع المسلمون في خطأ الحكم الوراثي، الذي لا يلتقي مع أي من المدرستين ـ مدرسة الإمامة ومدرسة الشورى ـ . جاءت الدولة الأموية التي كانت ترى أن على الأمة أن تعيش تحت سيطرة الحكم الأموي ما دام على الأرض إنسان، وهكذا كانت وجهة نظر العباسيين والعثمانيين من بعد، وكل أسرة حكمت بلداً من بلاد المسلمين صار رأيها أن تحكم هذا البلد حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٧) بتاريخ ١٤ ذو الحجة ١٤٣٢هـ، ١١/١١/٢٠١١م.

وحتى لا يشتبه الأمر على أحد، ويخلط بين هذا الفهم ـ الأجنبي قطعاً عن الإسلام ـ وبين فهم مدرسة أهل البيت عليهم السلام، فلا بد من الالتفات إلى أن مدرسة الإمامة بعيدة كل البعد عن الحكم الوراثي، فإمامة الحسن أو الحسين ليس لأن هذا أو ذاك ابن لعلي بن أبي طالب عليه السلام وإنما لأنهُ منصوص عليه بالنص الديني، وممن بشر رسول الله صلى الله عليه وآله بإمامته، وهكذا الحال في إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام، والإمامة في أهل البيت عليهم السلام إنما حددت في اثني عشر إماماً سُمّوا سلفاً، وقبل ولادة الكثير منهم، ولا تمتد الإمامة في ذرية النبي وعلي عليهما السلام حتى النهاية.

ثم إنه في غياب المعصوم عليه السلام لا تقصر مدرسةُ الإمامة إمامةَ المسلمين على ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله.

وعليه فإنه إذا أراد المسلمون أن يحترموا فهمهم للإسلام في المسألة السياسية حتى مع تخلّيهم عن مدرسة الإمامة، فليس لهم أن ينسبوا الحكم الوراثي للإسلام ويشرعوا لهُ على هذا الأساس، وإذا أعطوا الحكم لأي فرد من أي عائلة فلا بد أن ينظروا في صلاحيته على أساس ما فهموهُ من مواصفات الحاكم في الإسلام حتى تتصحح نسبة اختيارهم إليه وأنهم اختاروه لأن الإسلام يوافق عليه، وأن اختيارهم ذاك إنما هو من اختيار الإسلام»[1].

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٨٢) بتاريخ ٢١ محرم ١٤٣٣هـ، ١٦/١٢/٢٠١١م.

الصحوة الإسلامية والربيع العربي

حركة الشعوب العربية لها خلفياتها وتطلعاتها، من حيث الظلم والاستعباد والقهر والأسر والتهميش، فتحركت الشعوب من أجل كرامتها وحريتها وحاضرها المشرف وغدها الأفضل. وهذه الحركة لا رجعة فيها للوراء ولا انحسار لها، بل هي في تصاعد وإصرار، لأن الربيع العربي ولد من رحم الصحوة الإسلامية، وإذا حضر الإسلام في وعي الشعوب حضرت كرامتها وعزتها ورفعتها، وذهب عنها الذل والهوان.

يقول سماحته:

«تحرّك عدد من الشعوب العربية في سبيل واقعٍ جديد، وحاضرٍ مشرّف وغدٍ أفضل ينطلق من إصلاح الوضع السياسي الظالم في الأمة وتغييره، ومن تحقيق الانعتاق من الأسْرِ الخانق الذي تعاني منه شعوب الأمة على يد الأنظمة السائدة، وحالة التهميش التي تفرضها عليها، والاستخفاف الذي تتعامل به معها، إذْ كل جَنَبات الحياة عند الإنسان يصيبها الضرَرُ والتصدّع والتأثّر بسبب سوء الوضع السياسي والخلل الداخل عليه.

تحرّك هذا العدد من الشعوب لاسترداد كرامة الدين والإنسان وحريّته، وإنقاذ الثروات الوطنية من يد العبث والنهب والتلاعب، وهو تحرّكٌ لا رجعة فيه إلى الوراء ولا انحسار، وشعوب الأمة التي لم تلتحق بعد بحَراكِ الإصلاح والتغيير لاحقةٌ به لا محالة. وقطار التغيير مواصلٌ انطلاقته

إلى آخر الطريق ولن توقفه قوّة غاشمة ولا تحايل ولا مكر، ولا كلّ ألاعيب السياسة، ولا موقف دولةٍ صغرى ولا دولةٍ كبرى في الأرض كلّها على الإطلاق.

ربيع الثورة العربي وحركات الإصلاح إنما وُلد كلّ ذلك من رحم الصحوة الإسلامية التي سرَت في روح هذه الشعوب. وكلما حضر الإسلام في وعي شعبٍ وشعوره، كلما امتنع أن يردّ هذا الشعب رادٌّ عن طريق العزة والكرامة والحريّة والمطالبة بالحقوق والتغيير الصالح والانعتاق.

منطلق الربيع العربي مخزونٌ من الشعور بالقهر والإذلال والحرمان والتهميش والكبت وفقد الأمن، وكل ذلك من عطاءات النظام السياسي العربي الغاشم، منطلقه هذا المخزون وتلك الصحوة التي بعثت الوعي وأحيت الضمير، وحرّكت الإرادةَ وألهبت الشعور.

والنجاحُ الحقيقي لحركات التغيير والإصلاح وتحقيق مستقبلٍ زاهرٍ كريم رائدٍ للأمةِ مرهونٌ باستمرار هذه الصحوة وتعمقها وصدقيّتها في ميزان الدين وشدتها وتوسعها»[1].

يقظة الشعوب ونوم السلاطين

استيقظت الشعوب من سبات خوفها وشعورها بالعجز والفاقة، ونفضت عنها غبار التبعية الذليلة، ولبست ثوب العزة

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٨٤) بتاريخ ٥ صفر ١٤٣٣هـ، ٣٠/١٢/٢٠١١م.

والكرامة والإباء، فما عادت تجدي أساليب البطش والقمع، فقد صدح صوت الأحرار بأهازيج الحرية المصبوغة بالدم، فارتعد السيف حينما تجلى نزف الدماء.

يقول سماحته:

العام الحادي عشر بعد الألفين الميلادي ما هو إلا عام البداية للثورات العربيّة في وجه الأنظمة الحاكمة التي ضاقت بها الأمّة ذرعا؛ بما أوقعتها في مستنقع التبعيّة الذليلة وسلبتها العزّة ولقمة العيش وأذاقتها الهوان. ثوراتٌ لن تُلقي عصا السير ولن تتوقّف عن تصاعدها ولن تستريح حتى تكون الحاكمية التي تُؤمِن بها الشعوب، لا الحاكميّة التي تُؤمّن [بها] طاغوتيّة السلاطين؛ ذلك لأنها لم تنطلق من فراغ ولا نظرةٍ سطحيّة أو حالة انفعالٍ عابر أو رؤية مُتعجّلة أو إرادةٍ متلكّئة أو عزمٍ ضعيف.

وإنه لن تنفع ـ بعد يَقَظَةِ الشعوب وانبعاث إرادتها والإصرار على استرداد حقوقها وحريّتها وكرامتها في إيقاف هذه الثورات ـ أساليبُ بطشٍ وقمع، ولا حيلةٌ ولا وسيلةٌ ممّا يقع تحت يدِ الباطشين الذين لا يرعون إلاً ولا ذمّة ولا يقيمون لإنسانٍ وزناً»[1].

الزلزال العنيف

رياح التغيير في البلاد العربية والزلزال العنيف ليس من قبيل

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٨٥) بتاريخ ١٢ صفر١٤٣٣هـ، ٦/١/٢٠١٢م.

الصدف، بل جاءا على وفق السنن التاريخية، حيث إن المقتضي موجود، والمانع ليس بالشدة التي تحول بين الأمة وبين التغير.

يقول سماحته:

«هذا الذي يعرض الأجواء السياسية في البلاد العربية هو من رياح التغيير العاتية والزلزال العنيف والطوفان الجارف والتحولات الكاسحة، ما يحدث ليس صدفة، ولا مفاجأةً كاملة، ولا شذوذاً في سير التاريخ، ولا خروجاً عن صنعه.

المقتضي موجود والموجب تام والسبب قائم في جور الأنظمة، ونهبها للقمة الشعوب، وسياسة الإذلال والهوان، وتهميش الأمة، وبيع المقدرات، والتنكر للهوية، وسحق الكرامة، وبيع الأوطان، والفساد والإفساد الشامل.

وإذا كان مانعٌ من التغيير فهو على ما هو عليه لم يتغير، ما هو المانع؟ هو قرار الأنظمة، بطشها، تمسكها بالحكم بأي ثمنٍ تجده على الإطلاق، استهزاؤها بإرادة الشعوب.

والثابت أن المانع على شدته ليس إلى الحد الذي يعطل رياح التغيير، ويؤجل الزلزال، ويحول بين الطوفان وبين أن يبدأ، ويمد في عمر الباطل لو حصل شرط التغيير. المفقود كان هو الشرط، والمقتضي للتغيير موجود، والمانع ليس بالشدة بين الأمم وبين التغيير، لكن الشرط كان مفقوداً»[1].

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٣٨) بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٤٣٢هـ، ١١/٢/٢٠١١م.

الطوفان بدأ لا ليهدأ

طوفان بدأ لا ليهدأ، وهو لا يستجيب لمنطق الترهيب أو الترغيب أو التخدير أو التأجيل، فهو بدأ ليسترد حقوقه المسلوبة، وخيراته المنهوبة، وإذا لم يُعطاها اليوم فسوف يأخذها غداً، ولن يقبل بها إلا مضاعفة بحجم تضحياته ومعاناته.

يقول سماحته:

الطوفان بدأ لا ليهدأ، ولا ليقف عند حد بلدٍ وشعب، وهو غير قابلٍ للالتفاف والمغالطة والتخدير والتأجيل.

ومن التغيير ما يكلف البلدان الكثير من الخسارة على مستوى الإنجازات والإنسان، ومنها ما هو دون ذلك، والمسألة ترتبط بحكمة الأنظمة وتعقلها، ومبادرتها في الاستجابة لضرورات الناس ومطالبها العادلة السياسية وغيرها، والاعتراف العملي العاجل بكرامة الشعوب وحقوقها في شكل الحكم وسياسته.

وقد رأينا أن ما يمتنع عن إعطائه للشعوب اليوم، لا ترتضيه غداً على مضاعفته.

اليوم أي شعبٍ يطلب قدراً من الحقوق، غداً يتضاعف الطلب، وتعرض عليه الحكومات أكثر مما طلب، إلا أنه بعد التضحيات الكثيرة لا يقبل بما يعطى. وهو درس يجب أن تتعلمه الأنظمة.

وأن الذين يتذرعون بألوان التذرع، ويعتذرون بألف

عذر عن الإعطاء للقليل والتغيير في حال السعة، يعلنون عن استعدادهم للإعطاء الواسع والتغيير الكثير إذا ضاقت بهم الأمور، وعند فوات الأوان»[1].

الوطن العربي بين خريف وربيع

طال الخريف العربي في ربوع البلدان العربية، وكاد أن يُذهب ببقية الفصول، إلا أن أمطار الصحوة الإسلامية أحالت الأرض القفراء إلى جنة خضراء يفوح أريجها بعبق الحرية والكرامة والعزة، ذهب الخريف وجاء الربيع العربي للشعوب وسيستمر بإذن الله تعالى وإن بقي خريف الحكومات والأنظمة.

يقول سماحته:

الوطن العربي بين خريف حارق لكل أخضر ويابس على مستوى العقول والقلوب والضمائر، وإرادة الخير والإبداع الكريم في الإنسان، وعلى مستوى الساحة الخارجية وكل مظاهر الحياة، هو بين ذلك وبين ربيع بدأت نسائمه تهب عبقة ببشائر الحياة.

طال الخريف العربي حتى كاد أن يقضي على الحياة، إلا أن الأرض العربية بدأت تستقبل الربيع، وتعيش مظاهره في واقع الشعوب وحركتها، والخريف العربي والجمود في الواقع العربي الرسمي لا زال يقاوم بشراسة ودهاء

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٣٨) بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٤٣٢هـ، ١١/٢/٢٠١١م.

وإمكانات وخزائن هائلة حركة الوجود الشعبي وانبثاقة الحياة في الأرض العربية.

وما بيد الوجود الرسمي من خزائن وجيوش وإمكانات إنما هي ملك الأمة، وكل إمكاناته التي يواجهها بها من صنع ثروتها. الحركة حركة شعوب لا حركة أنظمة من ذاتها، ولا حركة لأي نظام عربي بمقدار خطوة إيجابية صغيرة إلا بتحرك من الزلزال العربي على مستوى الشعوب.

دور الأنظمة دور مقاوم، مجهض، مبطل، محرف، متحايل، سارق لحركة التغيير ونتائجها»[1] .

لغة الحكومات ولغة الشعوب

لغتان تتصارعان، لغة الحكومات المستبدة ولغة الشعوب الأبيَّة، لغة حكومات تخير الشعوب بين الذلة والسلة، ولغة شعوب تهتف هيهات منّا الذلة، مستلهمة هذا الشعار من إباء الإمام الحسين عليه السلام ـ نصاً أو معنى ـ ومن كانت هذه لغته فنصر الله عز وجل حليفه لا محالة.

يقول سماحته:

لغة الحكومات لشعوبها؛ هي أن تموت هذه الشعوب أو تنحني، أن تموت جسداً أو تموت فكراً وإرادةً وإنسانية

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٦٩) بتاريخ ١٧ شوال ١٤٣٢هـ، ٢٠١١/٩/١٦م.

وتتنازل عن حريتها، أن تقبل الهوان والذل والفقر والجهل والمرض وتخسر دينها.

وذراع هذه اللغة ما بنته ثروات الأوطان التي هي ملك الشعوب من قوة عساكر، ومؤسسات استخباراتية، وسجون، وقوى تسلحية، وصحافة موالية، وقنوات إعلامية تحت التصرف، وإمكانات هائلة، ومرتزقة وكل ما يستعان به لقهر الآخر وإذلاله.

أما اللغة الأخرى، فهي لغة شعوب أفاقت من غفوة طالت، ونفضت عنها غبار المسكنة، وتخلصت من عقدة الخوف، وكسرت طوق رعبها، ولسان هذه اللغة يعلو مجلجلاً الموت لا الانحناء، الحرية وإلا فالمنية، الموت أولى من الذل والعار»[1].

الحسين عليه السلام ملهم الربيع العربي

ويواصل سماحته:

«وأخذَت كلمة الإمام الحسين عليه السلام التي انطلَقت من روحه الأبية، وقطعت مسافة القرون المتوالية لتملأ الساحة الثورية العربية والإسلامية الواسعة الملتهبة كلها، وتنطلق مدوية على ألسن الملايين ـ نصا أو معنى ـ لتملأ مسمع الدنيا كلها بشعار هيهات منا الذلة، كلمة قالها الإسلام من

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٣) بتاريخ ١٥ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، ١٤/ ١٠/ ٢٠١١م.

أول يوم، وبقيت على لسان الرسول ﷺ وفي سلوكه، وعلى لسان كل إمام بمعناها وبمؤداها، وهي باقية على لسان المسلم الحق إلى الأبد»[1].

لغة الشعوب تنتصر

ويقول سماحته:

«هذه اللغة سلاحها الإيمان بقيمة الإنسان وكرامته، وأن الله ﷻ يأبى للمؤمن أن يذل نفسه، وأن يطأطئ لإرادة العبيد المخالفة لإرادة ربه، وأن يسلم للعبودية لغير خالقه، وسلاحها الصبر على مواجهة الموت، وبذل الروح في سبيل الله وما أذن الله ﷻ أن يبذل الدم من أجله.

ولغة الشعوب هذه أخذت تتحول إلى لغة عامة ومفهومة، ومستذوقة بل معشوقة في العالم العربي والإسلامي، وأخذت في التعمق والتجذر يوماً بعد يوم في ظل ظاهرة الاستشهاد المتتابع، وبحور دماء شهداء هذه اللغة في الأرض العربية.

هذه اللغة بدأت تفرض نفسها على الأجيال الجديدة بقوة بعيداً عن العدوانية، وإنما هو عشق الحرية والكرامة، ورفض العبودية إلا لله سبحانه الذي لا يستكثر عليه أي ثمنٍ في سبيل رضاه.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٣) بتاريخ ١٥ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، ١٤/١٠/٢٠١١م.

وما تجلى عن هذا الصراع بين اللغتين، هو انتصار لغة الدم على السيف، والحق على البطش، والحرية على رغبة الاستعباد، والشعوب المطالبة بالإصلاح على الحكومات المضطهدة للشعوب»[1].

حاجز الخوف ورياح التغيير

ارتفع حاجز الخوف عند الشعوب فسقطت عروش الأنظمة الظالمة وتزحزح بعضها، فبداية التغيير مرهونة بهدم جدار الخوف والرعب الذي بنته الأنظمة.

يقول سماحته:

مسألة بداية التغيير وزحفه، وحدوث الزلزال واشتداده، وانطلاق الطوفان واكتساحه، مرهونةٌ بانهدام حاجز الخوف والرعب الذي أقامته ومتنته أنظمة السياسة الجائرة في نفوس أبناء الأمة، والحرص على الحياة الدنيا وإن كانت شحيحةً ذليلةً في نفوس أبناء الشعوب، ومرهونةٌ بإدراك الحالة البائسة حتى لمن كان شبعان من الناس، وانفتاح الأمل بعد اليأس المقيت»[2].

القيادة ورياح التغيير

لا بد للتغيير من رشد يقيه من الانفلات أو الانحراف أو

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٣) بتاريخ ١٥ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، ١٤/ ١٠/ ٢٠١١م.

(٢) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٣٨) بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٤٣٢هـ، ١١/ ٢/ ٢٠١١م.

الالتفاف، ورشد التغيير يتمثل في وجود قيادة شرعية وحكيمة وشجاعة وعاقلة، تقود السفينة في البحر المتلاطم إلى شاطئ الأمان. فكل ثورة تحتاج إلى خميني، والخميني يعني الفقيه العالم العادل البصير الشجاع الحكيم الذي لا تأخذه في الله لومة لائم.

يقول سماحته:

رشد التغيير، وتحقيقه للآمال العريضة، وانضباطه، وأمنه من الحرْف والالتفاف عليه، ويسره، وانسيابيّته بدرجة أكبر وأضمن، فيحتاج إلى شرط القيادة الموحدة الكفوءة الرشيدة الأمينة الشجاعة، النابعة من ضمير الأمة، المنسجمة مع آمالها، المجسدة لرؤيتها، التي لا ينقصها الوفاء والإخلاص، والتقدير الدقيق، وقد تجسد هذا الشرط في مثل قيادة الإمام الخميني «رضوان الله عليه» في ثورته العملاقة أمام طغيان النظام الشاهنشاهي[1] المقبور.

وكل ثورة تحتاج إلى خميني جديد، في عزمه، في رشده، في إسلاميته، في تصميمه، في دقته، في تقواه.

على أن أي تغيير صالح في الأنظمة الفاسدة، تتوفر عليه الشعوب هو خير، وإن لم يبلغ كل ما تبلغه ثورةٌ تامة المقومات، مكتملة الشروط»[2].

---

(١) شاهنشاه: فارسية معناها ملك الملوك، ويريد الشيخ النظام الملكي.

(٢) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٣٨) بتاريخ ٧ ربيع الأول ١٤٣٢هـ، ٢٠١١/٢/١١م.

عناد حكومات وإصرار شعوب

الشعوب صامدة، صابرة، مصرة على تحقيق مطالبها وخروجها عن الأسر والقهر والذل والهوان، والحكومات في عناد وخيلاء وعنجهية واستهتار في إرجاع الحقوق المغتصبة لأربابها، إلا أن الليل قد انجلى بصبح جديد، والقيد قد انكسر بعد أن صدأ الحديد. فالشعوب لا تتراجع، بل الحكومات هي التي تسقط إن لم ترجع عن غيِّها وظلمها وجبروتها.

يقول سماحته:

«حكومات لا تريد أن تتنازل عن شيء من استبدادها، وظلمها، ونهبها، واستعلائها، واستكبارها، أو تعترف بشيء من قيمة الشعوب وحقها في رسم مسار حياتها وتقرير مصيرها، وتمتعها بحريتها وكرامتها، والاعتزاز بإرادتها.

وشعوبٌ لم يعد يثنيها عن استرداد هذا الحق صعوبة من الصعوبات، ولا تحدٍّ من التحديات، ولا أي آلامٍ تلقاها على الطريق أو سبب منيةٍ يعترضها.

عود الأمور إلى ما كان ليس في الإمكان، وليس له أي مكان، والتنازل السهل من الحكومات غير واردٍ في الكثير، والواقع المشهود وما يسجله من استماتة الشعوب رغم كل التضحيات، وتصاعد الروح الثورية في إنسان هذا الجيل ـ يوماً بعد يوم ـ حتى لا يزيده ارتفاع مستوى التضحيات إلا إصراراً وصموداً، ينفي تماماً إمكان أن يحصل تراجعٌ في حركة المقاومة، لظلم الحكومات واستبدادها وما تصر عليه من استعباد الشعوب.

والمظلوم إذا استرد إرادته أقوى من الظالم، والموجِ أشد اندفاعةً للتخلص من آلامه من مترفٍ يهمه أن يحافظ عل ترفه، فالنتيجة للصراع حسب المقدمات الموضوعية هـ الإصلاح والتغيير، والتراجع لصالح إرادة المظلومين وحقهم وهو التراجع الذي يدعو إليه العقل والدين والضمير، وهـ التراجع الذي يحفظ إنسانية الطرفين ومصلحتهما»[1].

خيارات الأنظمة الظالمة

للأنظمة خياران لا ثالث لهما، الاستجابة لإرادة الشعوب التي رجعت إلى إسلامها وأبت إلا العبودية لله الواحد القهار، أو قتل الشعوب واستبدالها بشعوب تقبل الذل والهوان، ولن يجدوا شعباً بعد هبوب رياح التغيير يقبل الذل والهوان، والخيار الأول فيه رجاحة عقل، بينما الخيار الثاني فيه سفاهة وبداية للسقوط.

يقول سماحته:

مع استمرار هذه الصحوة وتصاعدها يستحيل على أيّ نظام من أنظمة الحكم الظالمة أن يكون في منأى عن المواجهة والمطالبة بالإصلاح والتغيير. وفي ظلّ الواقع الجديد لشعوب الأمة لم يبقَ أمام الأنظمة الحاكمة المناهضة للإصلاح والتغيير إلا أن تستبدل عن شعوبها أو تستجيب لإرادتها.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٦٨) بتاريخ ١٠شوال ١٤٣٢هـ، ٢٠١١/٩/٩م.

يا رجال أنظمة الحكم الظالمة إذا أردتم أن يبقى لكم ظلمكم واستئثاركم بكنوز الأوطان واستعبادكم للنّاس فاقتلوا شعوبكم واستبدلوا عنها شعوبا ميتةً ذليلة تقبل الأسر والاستعباد، ولن تجدوا بديلاً في الأرض اليومَ من هذا النوع. شعوبكم العربيّة المسلمة صار يستحيل عليكم بعد صحوتها وعلى من هو أشدّ منكم وأقسى أن يحكمها بالحديد والنار، ويقتل إرادتها ويُخمد في داخلها روح الثورة وطموح الإصلاح والتغيير.

سبيلكم الوحيد إذا عزّ عليكم الإصلاح والتغيير أن تحصدوا هذه الشعوب حصداً إلى آخرها إن أمكنكم ذلك ـ ولن تستطيعوا ـ وإلا فإنَّ أيّ شعبٍ من الشعوب التي حرّكها الشعور بضرورة التغيير على ضوء الإسلام لن تتراجع ما دام الدم سارياً في عروقها، ولن يطول سكوت أي شعبٍ من الشعوبِ المظلومة التي لم تهبّ بعدُ على الظلم. وكلّ الاحتياطات الوقائية من التغيير لن تصمد أمام هبّة الشعوب وعزمها وجديّتها، واستمراركم في الظلم يُفقِد شعوبكم الصبرَ ويستنهِضُ إرادتها.

على أي حكومة عربية ألا تصدّق نفسها بعد اليوم بأنّها ستبقى صاحبة الكلمة الوحيدة وسيّدة القرار والموقف، تتحكم في مصير شعبها كما يحلو لها»[1].

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٨٤) بتاريخ ٥ صفر ١٤٣٣هـ، ٣٠/١٢/٢٠١١م.

الطائفية مخرج الطوارئ عند الحكومات

للسياسة القذرة الرسمية جرائم في حق الأوطان والشعوب، فساسة العروش إذا اكتوت مصالحهم بحرارة لهيب ثورة الشعوب لتحرير الأوطان، نراهم يفتعلون إشعال حرائق جانبية بعيدة عن قصورهم، لتحميهم من لهب الثورة الذي يقترب من قصورهم وحصونهم، ومن تلك الوسائل التي تحرق اليابس والأخضر، لهيب الفتنة الطائفية التي هي مخرج الطوارئ للحكومات من لهيب الثورات.

يقول سماحته:

«من له شيءٌ من عقل، شيءٌ من دين، شيءٌ من ضمير، شيءٌ من إنسانية، شيءٌ من غيرة، شيءٌ من حياة لا يُحرق وطنه، أهل وطنه، ثروة وطنه، أخوّة مواطنيه، دينه، أخلاقه، إنسانيته، أمنه، حاضره، مستقبله. وكل ذلك تحرقه الفتنة الطائفية التي يضيع فيها العقل، ويغيب الدين والضمير، وتعطل الكوابح، وتقفز على الحواجز وتتجاوز الحواجز.

فلا ريب أن من يسعى لإشعال الفتنة الطائفية، فإنما يريد إشعال حريق شامل يجد منه مخرجاً للتحكم في الأوضاع، غير مبالٍ في نفوس الناس وما لهم من أرضٍ ومال.

إنها جريمة السياسة القذرة في حق الوطن والمواطنين أن يعمد أحدٌ إلى إحداث فتنة طائفية، إنها عملية استهتار، وسحق إلى الدين والقيم والإنسانية وكل حرمة من الحرمات.

هناك من يريد احتراق الوطن، من يريد لكم يا أبناء الشعب سنة وشيعة أن تقتتلوا، أن تسفكوا دماءكم، أن تدخلوا في حربٍ مفتوحةٍ لا حدود لها، ولا تستثني مالاً ولا عرضاً ولا دماً، ولا ترعى حرمةً من الحرمات، ولا تحترم أخوَّة ولا تاريخاً ولا ديناً ولا خلُقاً.

أمامكم مصر، ليبيا، اليمن، سوريا انظروا كم حصدت السياسة الدنيوية المقاومة لمطالب الشعوب وحركات الإصلاح، وإصرار السلطات على كل مكاسبها الظالمة من أرواح هذه الشعوب.

لم يُحصد الليبيون على يد القذافي السني لأنهم شيعة، ولم يُحصد المصريون على يد حسني مبارك السني لأنهم شيعة، ولم يُحصد أهل صنعاء وعدن على يد صالح السني لأنهم شيعة، حُصد كل أولئك وهم سنة من الحاكم السني بذنبٍ واحدٍ مشترك هو المطالبة بالحقوق والإصلاح والحرية والكرامة، ولم تشفع لهم أخوَّةٌ دينيةٌ ولا مذهبيةٌ ولا وطنيةٌ يشترك الحاكم معهم فيها. إن السياسة الدنيوية لا تعرف وزناً لدين ولا مذهب ولا قيم ولا أعراف، كل القيمة عندها للكرسي والسلطة والدنيا.

ولا تفتقر السياسة الدنيوية إلى الحيلة والمكر الذي يوقع أبناء الشعب الواحد في الاقتتال حفاظاً على السلطة بل على كل ما تغتصبه من الشعوب وتصادره من ثروة وحرية وكرامة الأوطان ظلماً، والمداخل لهذا المكر متوفرة دائماً والفرص ميسورة.

هناك التعدد الديني، التعدد المذهبي، التعدد القومي، التعدد اللوني، التعدد القبلي، التعدد المناطقي، التعدد الطبقي، التعدد اللغوي، كل هذه التعددات وكثير منها يتواجد في الوطن الواحد والشعب الواحد، أي شعب يخلوا من هذه التعددات ومن غيرها حتى لا تجد السياسة الظالمة مدخلاً تلِجه للفرقة وتفتيت الشعب الذي تحكمه واحتراب أبنائه؟

في مصر استخدمت ورقة التعدد الديني، وفي ليبيا استخدمت ورقة التعدد القبلي والمناطقي وكذلك في اليمن. أما ورقة الاتهام والورقة الرابحة في البحرين هي ورقة الطائفية التي تجيد السلطة لعبة استخدامها.

أما ورقة الاتهام بالتآمر والعمالة للأجنبي والخيانة، فهي ورقة مشتركة استخدمها المصري والليبي واليماني، وهي مستعملة في سوريا وفي كل مكان.

والسياسة التي لا تقدس إلا الدنيا، لا تستثني أي أسلوبٍ دنيء إجرامي في سبيل الحفاظ على مصالحها، ومن أبشع هذه الأساليب دناءةً وإجراماً تمزيق الشعب الواحد، وزرع روح الكراهيّة بين أبنائه، وإثارة الأحقاد والريبة والبغضاء بين صفوفه، والانتهاء به إلى حربٍ داخليةٍ طاحنة لا تلتفت إلى دينٍ ولا قيم ولا مصلحة وطن»[1].

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٦) بتاريخ ٧ ذو الحجة ١٤٣٢هـ، ٤/ ١١/ ٢٠١١م.

باعة الضمير والدين

ويقول سماحته في معرض حديثه عن باعة الضمير والدين في ظروف النزاعات بين الشعوب وحكامها:

«هناك محبو ظهور، باحثون عن مال، باحثون عن مناصب، أصحاب أحقاد، أصحاب عقد، لا يجدون فرصة أفضل من جو النزاع والصراع وتضارب المصالح بين شعب وحكومة، والحكومات تبحث في كل الظروف عن عملاء، عن ألسن، عن أيدي، عن عيون تستعين بهم لتنفيذ خططها وتثبيت وجودها بأي ثمن مستطاع، ولا تجد أفضل من باعة الدين والضمير من كل الفئات والشرائح والملل والمذاهب والتخصصات ممن يبحثون عن مشترٍ لهم كما تبحث تلك الحكومات عمن تشتريه لأغراضها السيئة.

وأعظم ما تشتد حاجة الحكومات لهذه السلعة ويكثر طلبها عليها، فيكبر ثمنها في حال أزماتها مع شعوبها وإصرارها على كسر إرادة الشعب وإذلاله وعدم التنازل له في أي من حقوقه الثابتة، وهذه هي الفرصة الذهبية لمن كان يبحث عن الدنيا في أي بُعدٍ من أبعادها وأي مُغرٍ من مغرياتها أو تفاهة من تفاهاتها وكان مستعداً أن لا يُبقي لنفسه ذمةً ولا ديناً ولا إنسانيةً ولا شرفاً في قبال ما يطمح له من مال أو منصب أو تزلّف، وفي هذا مصيبة كبرى للدين والشعوب والأمة»[1].

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٤) بتاريخ ٢٢ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، ٢١/١٠/٢٠١١م.

الوحدة الإسلامية وقلق الأنظمة

الدعاة إلى الوحدة الإسلامية من أبغض الناس إلى الحكومات، فتراهم ملاحَقون منها بالتشويه والكذب والافتراء، والخاسر الأكبر من تحقيق الوحدة الإسلامية هي الحكومات، بقدر ربح الشعوب من تحقيقها في أرض الواقع.

يقول سماحته:

«الدعوة إلى الوحدة الإسلامية والوطنية موجعة إلى الحكومات الظالمة ومفشلة لأهدافها الخبيثة ـ إذا دعوت إلى الوحدة آذتك الحكومة التي تريد تفريق الشعب، وألّبت عليك الأقلام والألسن ـ والدعاة إلى هذه الوحدة من أبغض من يكون لهذه الحكومات، وهم ملاحَقون منها بالتشويه والعقوبة وقلب الحقائق والكذب والزيف والبهتان.

وعلينا أن نؤكد دائماً على وحدتنا الإسلامية والوطنية وليغضب ذلك من يغضب، وهذا الشعب الواحد حين يطالب بالديمقراطية التي تعطيه حق الرأي في دستوره وقوانينه وحكومته وتقرير المصير لا يطالب بديمقراطية شيعية أو ديمقراطية سنية، فالديمقراطية ليست ذات تصنيف مذهبي وليست صديقة مذهب معين وعدوة لمذهب آخر، الديمقراطية في مجالها السياسي لا حديث لها عن المذاهب ولا مساس لها بها. الديمقراطية لإنصاف الشعوب وليس لظلمها، وإذا كان هناك متضرر من الديمقراطية فهي الحكومات الفاسدة والمستبدة وأهل المطامع الظالمة الذين

يشاركونها الأثرة والفساد والبغي في الأرض وتهميش الشعوب، وهؤلاء ليسوا قصراً على مذهب معين أو قومية خاصة»[1].

وعاظ السلاطين وإنكار الظلم

كما أن أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر، فإن شر الخلق من تاجر بالدين بسرقة لباسه خدمة للسلاطين، بعد أن أخذ الله على العلماء أن لا يقارُّوا على كِظَّة ظالم ولا سَغب مظلوم.

يقول سماحته:

«ليس لمسلم وعلى أساس الإسلام أن ينكر على الأمة مواجهتها إلى الظلم ومحاولتها ردع الظالم عن ظلمه، وإنما على المسلم من منطلق إسلامه أن لا يقرَّ أحداً على ظلم، ولا يسكت على مظلمة مظلوم ما وجد إلى ذلك سبيلاً ومنفذا، فكلما وُجد سبيل أو منفذ إلى إنكار المنكر وإيقاف الظلم كان ذلك متعيناً على المسلمين جميعاً.

إن الوقوف مع الظالم ضد المظلوم يفصل العالم الديني - وأي متحدث باسم الإسلام - عن الإسلام نفسه في هذا الموقف الشائن المعادي لدين الله، ورفع شعارات الإسلام ممن يقفون هذا الموقف الشيطاني الظالمين يقفون موقف

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٨٣) بتاريخ ٢٧ محرم ١٤٣٣هـ، ٢٣/١٢/٢٠١١م.

المناصرة للظلم؛ من أكبر عمليات التزوير المضرة بصفاء الدين ومكانته في الناس، وعلى الأمة فضح هذه المواقف والتبري من أصحابها، إنقاذاً للدين من التزوير وسوء السمعة، وللأجيال من الاغترار بالزور، كما حدث كثيراً في التاريخ وابتليت به الأمم، وكم من أمة ضلت أجيال منها بسبب مواقف علماء الدين الموالين للسلطات الظالمة، وإن الذين يناهضون حركات التحرير والتغيير النافع والإصلاح ويعادون المصلحين إنما ينطلقون في هذه المناهضة والعداوة من ارتباط مصالحهم المادية بالوضع الظالم المتخلف والفساد المستشري فيه، وإن تستروا بشعارات مختلفة منها الديني والمذهبي والدفاع عن هذه الفئة أو تلك من فئات المجتمع التي كلها تعاني من آثار الوضع الظالم الذي يضطهد الجميع، ويسلب ويسرق ويستخف بكرامة الجميع ويستعبد الجميع ويمزق النسيج الاجتماعي الذي يحفظ وحدة كل الفئات»[1].

فتاوى وعاظ السلاطين

ويقول سماحته:

«من انتسب إلى دين أو مذهب أساء إليه بإساءته إلى الناس، وشوهه بممارسته للظلم أو مساندته له، وإذا جاءت الإساءة أو الظلم أو المساندة له من عالم دين عظمت بذلك

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٨٢) بتاريخ ٢١ محرم ١٤٣٣هـ، ١٦/١٢/٢٠١١م.

الإساءة إلى الدين، أما أن يحدث ذلك من عالم دين وباسم الدين أو المذهب فهو من أظلم الظلم للدين والمذهب.

وليس هناك ما هو أشد عداوة على دين أو مذهب من عالم يسيء لخلق الله أو يمارس ظلماً في حقهم، أو يعين على الظلم والجور والفساد بما يفهم منه أن هذا بإذنهما لما يلتمس لذلك من مبررات ينسبها للدين والمذهب اللذين ينتسب لهما، أو يرى الناس فيه أنه يمثلهما في قوله وسلوكه.

وما أكثر العلماء اليوم ممن يصدرون فتاوى تحرم المظاهرات والمسيرات والاعتصامات ومختلف أنواع الاحتجاج السلمي ضد السياسات الظالمة، والتي تطالب بالحقوق و الإصلاح في صالح الإسلام والمسلمين.

ولا يخلو بلد من بلاد المسلمين اليوم من علماء تعتمدهم الحكومات الجائرة لمحاربة الشعوب بفتاوى التحريم والتكفير لمن يعلنون الإنكار على السياسات الظالمة ويطالبون جهراً بالإصلاح بطرق الاحتجاج السلمي.

وهذا من أسوء ما يواجه الدين من مسخ وتشويه وزيف، وعمل مسقط لقيمة الدين، ملوث لنزاهته، وهو من أحدِ أدوات الفتك به وأشدها فاعلية وأثراً قاتلاً له»[1].

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٣) بتاريخ ١٥ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، ١٤/ ١٠/ ٢٠١١م.

مسؤولية الأمة تجاه وعاظ السلاطين

ويقول سماحته:

ينبغي للجماهير في كل مكان أن تعي المنطلقات الحقيقية والدوافع الخلفية للمناهضين لحركات التغيير والإصلاح وتعزلهم، وإذا كان البعض يرى في الإصلاح إضرارا بامتيازاته المادية بالوضع الظالم والصيغة السياسية الفاسدة وتقليلاً من فرص تسلقه إلى المواقع المغرية، والمكاسب الحرام، التي لا يرى له فرصة ولا طريقاً إليها إلا بمساندته للظلم والفساد، واستماتته في التبرير والدفاع عما لا يرضاه الله سبحانه من ظلم العباد، وامتهان كرامة الإنسان والاستئثار بالثروة المشتركة، فإن الشعب الذي يرى في الإصلاح حياته وكرامته، وفي التخلي عن الإصلاح العبودية والانتحار، لأشد استماتةً ودفاعا عن حقه في الحياة الكريمة والحرية والعيش في سعة وأمان.

لن يكون المدافعون عن الظلم والفساد ـ خوفاً على مصالحهم الشخصية وامتيازاتهم الظالمة القائمة على آلام المحرومين ـ أشدَّ حماساً وتضحية من المكتوين بنار الوضع الظالم والمتطلعين إلى الخروج من العذاب، على الذين يثمنون بقاء الأوضاع السياسية المنحرفة الظالمة في البلاد العربية على ما هي عليه من صورة سيئة مخزية تتنافى مع حقوق الإنسان وكرامته والشأن العزيز للمسلم، حرصاً على ما يستفيدونه من امتيازات محرمة ترتبط بهذه الأوضاع أن

ييأسوا من ذلك، وليس لهم يوم يأتي نصر الله للمؤمنين إلا أن تتقطع قلوبهم حسرات»[1].

تساقط العروش والتيجان

حينما ارتفعت صرخات الأحرار وعلت قبضاتهم انحنت تيجان السلاطين وتساقطت عروشهم، فالصبر ملَّ من الصبر، والظلم حصان جموح بلا عنان، فإذا تكلمت الشعوب الحرة، سكتت الحكومات والأنظمة.

يقول سماحته:

«في أقلّ من عام سقطت ثلاثة أنظمة من أعتى الأنظمة العربيّة، وغادر حاكمُ اليمن موقع السلطة مُكرهًا تحت ضغط الشعب الثائر الذي لن تهدأ ثورته حتّى يتمّ له مطلبه في الحريّة والكرامة، ويختار نظام الحكم الذي يؤمن به من غير هَيْمنَةِ أحدٍ عليه إلا اللهُ تبارَك وتَعالى.

وسيبقى التحرّك الثوريُّ زاحفًا للأمام وعلى مساحة الأمة كلّها، وتتعالى الصرخات ويستمر الزلزال حتّى تتحقق أهداف الشعوب في الحريّة والكرامة واسترداد الحقوق، ويُستَجابُ لإرادة الأمة فيما تختار من حُكم وحاكمين.

لم يبقَ صبرٌ للأمّة على الذلّ والهوان والإقصاءِ والتحكّمِ ومصادرةِ الإرادةِ الشعبيّةِ والفسادِ السياسيّ

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٨٢) بتاريخ ٢١ محرم ١٤٣٣هـ، ١٦/١٢/٢٠١١م.

والاقتصاديّ وألوان الفسادِ الأخرى؛ نعم هناك صبرٌ جديدٌ مُضاعفٌ كبيرٌ على البذلِ والأذى في سبيل الله والتضحيات، لا صبرٌ على طاعةٍ كطاعةِ العبيد، وفي ذلك ضمانةٌ من ضمانات الاستمرار على طريق الجهادِ من أجل العزّة والكرامة.

صار مستحيلاً في وعي الأمّة وشعورها وتصميمها أن تكونَ عودةٌ للأمسِ الظالم، وصار لا بدّ أن تُغلَقَ كلّ أبوابِ العودةِ إليه، بل لا بدّ أن يكونَ غدُ الأمّةِ أفضلَ دائماً من يومها الذي تعيشه والحالِ الذي تكون عليه»[1].

أُبَّهة الحكم وغرور السلطان

غرور الحكام والسلاطين وثقافتهم الفرعونية المتمثلة في دعوى الربوبية العليا عملاً، وأن الشعوب مجرد مربوبين وظيفتهم التسبيح بحمد الحكومات والتقديس لتيجانها والطواف حول عروشها، كل ذلك أدى إلى التعجيل بسقوط الكراسي والعروش، ولكن هل يتعظ فراعنة اليوم بمصير فرعون الأمس؟

يقول سماحته:

«ما أكثر ما يغيب الخيار الصحيح عند الإنسان في هذه الحياة في ظل جهالة النفس التي تغمر العقل، وتظلِّل رؤيته أو تعزبه عن التأثير فيما يتجه إليه خياره، وهذا سارٍ في

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٨٥) بتاريخ ١٢ صفر ١٤٣٣هـ، ٦/١/٢٠١٢م.

الكثير من الناس، هذا سارٍ في شأن القوي والضعيف، والغني والفقير، والحاكم والمحكوم، وفي كل الطبقات، والخيار الصحيح أن يعترف الإنسان بعبوديته للواحد الأحد ويظل كل حياته ثابتا على طريق هذه العبودية المشرفة.

ومن أشد ما يثقل الإنسان رشده وهذا الخيار الصحيح، أُبَّهة الحكم وغرور السلطان وبذَخ المُلك، وضحايا هذا الغرور يملؤون ساحة الحياة.

كان يسع الذين أطاحت بهم ثورات هذه الآونة أن يعترفوا بعبوديتهم لله سبحانه، ولا يخسروا شيئا من اللذة الحلال في الحياة وأن يخرجوا منها كراما أماجد لا يلعنهم اللاعنون.

وخيار العدل لو كان، لرفع لهم شأنا في الدنيا ما بقيت، وجعل الملايين تودعهم بالدموع، والأجيال تذكرهم في الخالدين، فلماذا الظلم والبطش والنهب والتعالي يا ذوي السلطان؟

إن في مقتل القذافي درساً واعظاً يضاف إلى دروس كلها عظة، غنيت بها الساحة العربية في زمن قصير، عظة للطغاة بأن لا تطغوا فلستم آلهة، إنما أنتم عبيد ولكم يوم محتوم، ودرس وعظة للحكومات البديلة بأن كونوا أذكياء فلا تخرجوا من هذه الدنيا ملعونين كما ودعت من قبلكم لعنات الملايين، وعظة لعبدة السلطان بأن هذا هو مصير آلهتكم المكذوبة، فلا تأووا إلى ركن ضعيف، وعظة

للمستضعفين بأن لا تنسوا أن الإله الحق هو الله، وأنه الرب الذي لا رب غيره، وأنه مهلك الظالمين»[1].

الحكومات بين الوظيفة والواقع

بين ما تريد الشعوب من الحكومات وما تريد الحكومات من الشعوب تتأرجح الحرية والعبودية، فمطلب الشعوب هو العيش الحر الكريم، وتأبى الحكومات إلا عبوديتها للحكام، هذا هو واقع الحكومات، وهذه هي صحوة الشعوب.

يقول سماحته:

«الحكومات تمثل وظيفة من أجل أمن الشعب، ونظم أمره، ولمِّ شمله، وحماية دينه ونفوس أبنائه وبناته، وتطوير اقتصاده وثروة وطنه وتوظيفها لغذائه وصحته وتقدمه العلمي والاجتماعي، وتحسين بيئته، وتوفير الخدمات المدنية التي يحتاجها، وتقدم كل أوضاع حياته.

أما عن واقع حكومات كثيرة فقد صار مطلوبها شعباً بلا أظافر، بلا عقول، بلا إرادة، بلا اعتزاز بذات، بلا رأي، بلا شوق للحرية، بلا إيمان بالكرامة، بلا تطلع لحياة مريحة، بلا أمل، وحتى بلا لسان.

وصار مطلوبها شعوباً مستسلمة مستكينة متنازلة عن حريتها، أو لا تؤمن بهذه الحرية أساسا، وكل إيمانها بالحرية

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٤) بتاريخ ٢٢ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، ٢١ / ١٠/ ٢٠١١م.

المطلقة للحكومات في أن تفعل فيها ما تشاء وتختار لها ما تشاء، وأن الحكومات مالك مطلق للأرض والشعب وكل الثروة، وأن على الشعوب أن تكدح جاهدة لثراء حكوماتها التي إن شاءت أن تتصدق عليها بما يقيم أودها لتقوى على خدمتها كان ذلك منها إحسانا، وإن شاءت أن تقبض يدها فهي تمارس حقها الطبيعي ولا مورد لأي اعتراض عليها.

المطلوب لهذه الحكومات شعبٌ يسبِّح باسم حاكميه ليلاً ونهارا، وينسى ذاته وربه ودينه وقيمه وضروراته وحاجات حياته، ويكون بلا أمل ولا أمنية ولا تطلع، وهذا هو الواقع الذي تعاني منه شعوب هذه الأمة، ويثير تحركات أقطارها، ويفجر ثوراتها، ويسقط حكومة تلو حكومة ونظاماً تلو نظام من حكوماتها وأنظمتها.

هذا الواقع المرفوض عقلاً وديناً ووجدانا، والذي يحرك جميع شعوب الأرض اليوم من أجل الانعتاق واسترداد الحرية والكرامة، هو الذي يؤدي إلى كل التحركات الشعبية، ويدفع بها إلى الأمام، ويعطيها الدوام والاستمرار، ولا يأذن لها بالتوقف، ويجعل الأثمان الغالية في سبيل التخلص منه زهيدة رخيصة»[1].

تبعية الحكومات والقرارات المستوردة

الحكومات بين مدّ التبعية وجزر الاستقلالية، فاستقلالية

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٥) بتاريخ ٢٩ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، ٢٨/ ١٠/ ٢٠١١م.

الحكومات عن التبعية الخارجية ربما يُعجِّل ويُعزِّز من مسألة التوافق بينها وبين شعوبها، بينما تبعيتها لجهة خارجية يُعقِّد العلاقة بين الحكومات وشعوبها، ويشتد التعقيد إذا كانت التبعية لأكثر من جهة خارجية.

يقول سماحته:

«هناك حكومات مستقلة تأتي قراراتها من إرادتها بلا أن تكون هذه الإرادة مهيمَناً عليها ومملوكة لإرادة حكومة أخرى، هذه الحكومات قد تتوافق في سياستها مع شعوبها وقد تختلف، لكن حتى على فرض الاختلاف لو اقتنعت أن مصلحتها الدائمة أو المؤقتة في التوافق مع إرادة الشعب والسماع إلى مطالبه فإنه لا يبقى أمامها مانع من إعمال إرادتها في هذا الاتجاه وحل المشكل وإنهاء الأزمة.

وهناك حكومات لا تتمتع بالاستقلال الكافي وتكون إرادتها مقيدة بإرادة مهيمنة لحكومة أخرى، وهذه الهيمنة تأزم ـ في العادة ـ العلاقة مع الشعب وتزيد من تعقيد حالات الاختلاف وتخلق مانعاً من الوصول إلى التوافق في موارد النزاع، وخاصة عندما يكون استمرار النزاع مطلوبا للطرف المهيمن ويرى فيه فرصة للتمكين لهيمنته وترسيخها، والمد في بقائها وفرض شروط أكبر على الطرف الواقع تحت هيمنته، ويزيد التعقيد تعقيداً حينما تكون حكومةً عبداً مملوكا لأكثر من جهة خارجية تفرض عليها هيمنتها، وتعيش هي الحاجة إليها وتعتمد على حمايتها أو عطائها وإمدادها، فالعبد المملوك لأكثر من جهة سيادية يكون نهبا في مشاعره

ومواقفه لهذه الجهات، ولا يستطيع أن يتخذ قراره بنفسه، فهو إن أرضى جهة بما يريد اتخاذه من قرار ينهي مشكلته، ربما لن ترضى عنه جهة أخرى، وقد تتصادم إرادات مالكيه إلى الحد الذي يحيره ويمزقه ويمنع عليه اتخاذ قرار واضح وافق مصلحته أو مصلحة الشعب، إلا أن تتفاوت قوة مالكيه فتكسر إرادةُ الأقوى إرادةَ الأضعف من أولئك.

ثم إن هذه الحكومة أو تلك قد لا يأتي دور إرادتها إلا في المرتبة الثالثة من إرادات سيادية يكون متوسطها مملوكا لأعلاها، وهي مملوكة لكل ما فوقها من إرادات، وعندئذ تشتد مصيبة شعب حكومته في هذه المنزلة من الضعف والذل، في حين أنها تعد نفسها سيداً للشعب، وما أكثر الحكومات الإسلامية والعربية التي تعيش حالة تبعية واضحة في إرادتها وسياستها وعلاقاتها وتعاملها مع شعوبها لإرادة حكومة أخرى أو أكثر»[1].

ولاء الأوطان لا ولاء الأنظمة

الوطنية والولاء للوطن ليس مجرد كلمات ولقلقة لسان يلوكها أزلام الأنظمة المستبدة كدروس تلقينية إلى الشعوب، بل الوطنية ـ كل الوطنية ـ تتمثل في حب الخير للوطن والمواطنين من خلال رفض ظلم الظالمين حفاظاً على الوطن من جورهم وبطشهم، ففرق بين الولاء للوطن والولاء للأنظمة والحكام المستبدين.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٤) بتاريخ ٢٢ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، ٢١/ ١٠/ ٢٠١١م.

يقول سماحته:

«المقياس الذي تعمل به الحكومات العربية غالباً هو مقياس الولاء للنظام لا الكفاءة، وينبغي أن نلتفت جيداً إلى أن ولاء النظام يختلف عن ولاء الوطن، لأن ولاء الوطن قاضٍ برعاية مصلحته، وأخطاء الأنظمة وظلمها وتجاوزاتها لا تلتقي مع مصلحة وطن، فهنا يأتي كثيراً أن ولاء النظام يعني الكفر والمواجهة لمصلحة الوطن.

وولاء النظام يتطلب منك أن تقف مع كل تجاوز، ومع كل خطأ، ومع كل جرم في حق الناس، ولاء النظام يقتضي منك أن تقف مع أخطاء سياسته وظلمها واستخفافها بمصلحة الوطن، وأن تقف مع مخالفتها لدين الله وإرادته، ويتطلب منك أن تقف بحزم في وجه أي دعوة إصلاحية لا يعطي النظام لها إشارة ضوئية خضراء لحاجة في نفس يعقوب أو ضرورة قاهرة، وأن تعين على كل ظلم ترتكبه السياسة وتسرف فيه»[1].

بيع الأوطان

ويقول سماحته:

«ينطلق المسلم المؤمن بدينه حق الإيمان في حب وطنه وكل ما يقع عليه حبه من رؤية وشعور ديني لا يعدل به عن

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٦٩) بتاريخ ١٧ شوال ١٤٣٢هـ، ٢٠١١/٩/١٦م.

حب الخير وبغض الشر لمن خلق الله من نفس، ولا يبغض المؤمن في أحد إلا شراً، ولا ينكر منه إلا إضراراً، ولا يخرجه من حبه إلا سوءه وبمقدار سوئه.

وحب المؤمن لوطنه يدفع به إلى الأخذ به دائماً في اتجاه خيره ورقيه وصلاحه، والعمل على رفاهه وسلامة أوضاعه، وذلك لا يتم إلا بالأخذ بإرادة الله سبحانه في إقامة القسط، والرضا بالعدل، والتمسك بالحق، وخضوع كل طاعة لطاعته، وكل رضاً لرضاه، وكل تشريع لتشريعه، فلا بد من الدعوة لكل ذلك بالتي هي أحسن، وهذا دأب المؤمنين.

والمؤمن لا يبيع وطنه على المخلوقين، كما لا يبيع نفسه إلا لله، ولا يجد ثمناً أبداً عند أحد لبيع الأوطان، وأي ثمن ذاك الذي يبيع به المؤمن نفسه وولده وأهله وإخوانه ومواطنيه في ظل شعوره الديني النافذ الذي يحترم الإنسان ويخاف الله؟!

وإذا كان خارج وطنه نماذج إنسانية طيبة، ففي وطنه نماذج طيبة كذلك، وإذا كان من أبناء أمته الواسعة مؤمنون أتقياء، ففي وطنه منهم الكثير، وإذا كان لأمته كلها عليه حق، فإن حق أبناء أمته وإخوته في الإسلام والإيمان من أهل وطنه أكبر.

وراحة الأوطان وسعادتها في إصلاحها وسلامة أوضاعها، وليس في وضعها في مزاد علني أو سري لبيعها على أي كان.

المؤمن لا يمكن أن يبيع وطنه، أتدرون من يبيع الأوطان؟ إنما يبيع الأوطان والمقدسات أهل الدنيا، ومن لا يرون أن لهم وزناً إلا في المال والجاه، ولا يشبع أحدهم أن تكون له الدنيا خالصة بلا مزاحم، لا يبيع الأوطان إلا من لا دين له ولا شرف ولا احترام عنده للإنسان.

وكثيراً ما يسوق الإعلام العربي الرسمي اليوم في حق الحركات التصحيحية والمطلبية والتغييرية وصمة التآمر وبيع الوطن للخارج، هرباً من الاستجابة لضرورة الإصلاح والتغيير، وللتشويش على سمعة وصدق المعارضة، واستغفال من يمكن استغفاله، واصطياد من يمكن اصطياده، وهذا مضحك.

فماذا أبقت الأنظمة العربية من مادة أو معنى مما تغنى به الأوطان لم تساوم عليه الأجنبي ـ القريب والبعيد ـ من أجل الإبقاء على تسلطها الظالم، واستنزافها لما يبقى من ثروات الأوطان بعد أن تعطي منه ما تعطي للأجنبي، ومن أجل استعباد إنسانها؟»[1].

جامعة الدول العربية .. عين ترى وعين لا ترى

أجمعت جامعة حكام الدول العربية ـ بقرار أمريكي وتأييد أوروبي ـ على وأد حركة الشعوب العربية، ومن منطلق الكرم

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٠) بتاريخ ٢٤ شوال ١٤٣٢هـ، ٢٣/٩/٢٠١١م.

العربي وحسن الضيافة العربية، نرى جامعة حكام الدول العربية يتاجرون بدماء الشعوب من أجل إبعاد شبح الأنظمة الممانعة للكيان الغاصب الإسرائيلي، فلذا نراها تفتح عينا ـ لظلم نظام لشعب ـ وترى الإبرة في قعر البحار والمحيطات في الليل المظلم، بينما تغض الطرف بعينها الأخرى عن ظلم نظام لشعب في وضح النهار.

يقول سماحته:

«وضع الجامعة العربية بالنسبة لظلم الأنظمة العربية ومأساة شعوبها وضع من له عينٌ ترى وعينٌ لا ترى، أذنٌ تسمع وأذنٌ لا تسمع.

العين التي ترى والأذن التي تسمع متوجهةٌ لأنظمةٍ وشعوبٍ بعينها. والعين التي لا ترى والأذن التي لا تسمع متوجهةٌ لأنظمةٍ وشعوبٍ أخرى.

بل الأمر أكبر، فإن عين الجامعة العربية ترى ظلم بعض أنظمتها عدلا، وخطأها صوابا، وتنكيلها بشعوبها حقا، ومعارضة حكمها جورا، ومطالبة شعوبها بحقوقها ذنبا، وحرصها على حريتها وكرامتها إثما، والمقابلة لصوتٍ شعبيٍ يطالب بالحقوق والحرية والكرامة بكل أنواع القمع والتنكيل والسحق حق طبيعي لهذه الأنظمة، تباركه الجامعة العربية وتقف معه وتسانده بكل قوة.

وترى الجامعة العربية أن تترفع عن مقابلة من يمثل المعارضة لظلم هذه الأنظمة المختارة، أو تسمع له وجهة

نظر ينقل فيها معاناة شعبه وما تصب عليه حكومته من ألوان العذاب والمهانة صبا[1].

أبوا أن يقابلوا وفد المعارضة، وأن يسمعوا منه كلمة، ما لشعب البحرين ومطالبه المشروعة من الجامعة العربية هي هذه العين التي ترى حق هذا الشعب باطلا، ومطالبته بحريته وكرامته تعديا، وتطلعه لتقرير مصيره غرورا، وترى في سلميته حربا.

وليس لها عين ترى من ظلم الحكومة لهذا الشعب شيئا، لا من ظلم قتل الأبرياء تحت التعذيب، ولا الاغتيالات للآمنين العاديين، ولا انتهاك حرمة النساء والمساجد والقرآن الكريم، ولا سجن المئات بسبب التفوه بكلمة ناقدة أو مشاركة في مسيرة سلمية، ولا حرمان الألوف من أبناء هذا الشعب ـ القليل العدد ـ ومن يعيلونه من سبب الرزق الشريف، ولا سلب طعم الأمن ليلاً ونهاراً للكبار والصغار من أبناء هذا الوطن، وتحويل مناطق كثيرةٍ من مناطقه إلى ساحة حربٍ من طرف واحد.

هذا إلى جانب التمييز والتهميش والاضطهاد الديني والثقافي و[لـ]إنسانية الإنسان الذي تمارسه هذه الحكومة، كل ذلك والجامعة العربية لا ترى.

كل ذلك لا تراه عين الجامعة العربية، وأذنها صماء

---

(١) يشير سماحته إلى رفض الجامعة العربية لمقابلة وفد المعارضة البحرينية، ورفض استلام رسالة الوفد المعارض.

عن كل صراخ وتوجع وأنين طفل أو ثكلى أو معذب من أبناء هذا الشعب»[1].

جامعة الدول العربية بين سوريا والبحرين

ويقول سماحته:

«جميلٌ أن تذهب الجامعة العربية إلى مطالبة سوريا بإنهاء العنف وسحب القوات من الشوارع، وبالتعددية السياسية والإصلاح الجذري، لكن لماذا هذا في سوريا دون البحرين مثلاً؟

أهذه حقوقٌ إنسانية أو جغرافية؟ لماذا يُشدَّد على هذه الحقوق في قِطر أو أكثر من قِطر، وتُحرم الحقوق نفسها على يد المتشدد من أجلها هناك؟ لماذا هناك مطالبة وهنا عقاب؟

دول الخليج دورها في القرار المتعلق بالوضع السوري بارزٌ وريادي، وعددٌ منها له تواجده العسكري في البحرين لوأد المطالبة بهذه الحقوق، ولتفرغ جيش البحرين بمواجهتها على الأقل حسب الإعلان الصريح. كيف ينسجم هذا كله بعضه مع بعض؟ كيف يجوز هذا مجتمِعاً يا وزراء، يا محترمون، يا مسلمون، يا عقلاء، يا عرب؟

افرضونا غير عرب، افرضونا غير مسلمين، لكن هل لا إنسانية لنا على الإطلاق؟ ألستم تتحدثون عن هذه الحقوق

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٧) بتاريخ ١٤ ذو الحجة ١٤٣٢هـ، ١١/١١/٢٠١١م.

بما هي حقوقٌ إنسانية؟ وإذا كانت هذه حقوقاً فيما ترون ـ وهي حقوق فعلاً ـ فلماذا لا يأخذها المطالبُ بها الغيرَ حقوقاً على نفسه قبل غيره؟!»[1].

النصر من عند الله ﷻ

حينما يتم الحديث عن الجامعة العربية أو غيرها من المؤسسات العربية والإقليمية والدولية، ليس ذلك من باب استجداء النصرة أو من منطلق وهن وضعف، بل الناصر الأوحد هو الله ﷻ، ولا يستجدى النصر من المخلوقين بل هو من الخالق وحده لا شريك له، وإنما الحديث معهم من باب إلزامهم بما التزموا به نظرياً وخالفوه عمليا.

يقول سماحته:

«نحن نعرف أن النصر إنما هو من عند الله، وأنه لا يُستجدى إلا منه، ولا يملكه غيره، وليس بيد غيره، ولا يجد من سواه سبيلاً إلى منعه وتأجيله، فنحن لا نستجدي النصر من المخلوقين وإنما نسأله ونستجديه من الخالق، وعلينا أن لا نتوكل إلا عليه، مع الأخذ بما أمر به من بذل المظلوم لما يجد من جهد في سبيل النصر والخلاص من الظلم، ولكن هذا لا يتنافى مع إنكار ما عليه موقف الجامعة العربية من هذا الشعب المظلوم، وتذكيرها بأنها تتحمل مسؤولية ثقيلة بين يدي الله ﷻ لهذا الموقف غير

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٦٩) بتاريخ ١٧ شوال ١٤٣٢هـ، ١٦/٩/٢٠١١م.

العادل وغير الأخلاقي والبعيد كل البعد عن الحق والدين، وما النصر إلا من عند الله، والله خير الناصرين»[1].

الموقف الأمريكي في التعاطي مع الحكومات والشعوب

يعتمد الشيطان الأكبر ـ أمريكا ـ في تعاطيه مع الآخر ـ حكومات أو شعوب ـ بمحورية مصالحه ومصالح صناع سياسته، فلا صديق دائم ولا عدو دائم، ففي سياسة صُنَّاع السياسة الأمريكية التي ترتكز على المتغيرات، لا ثابت لها إلا ثابت المصالح.

يقول سماحته:

«رائع جداً ومفرح جداً أن تتجه الإرادة في النظام العربي الحاكم إلى إنكار الظلم من أي دولة ـ من دوله ـ للشعب الذي تحملت أمانة حكمه بصورة وأخرى، وأن تردها عن ظلمه وتفرض عليها الاحترام لإرادة الشعب الذي همشت إرادته وإرجاع حقوقه المسلوبة منه وحريته المصادرة عليه وثروته المتلاعب بها، هذا رائع ومحل تثمين كبير إذا كان من العودة إلى الحق والأخذ بالصحيح واحترام الشعوب والنظر إلى الإسلام وأحكامه وقيمه، فهل هذا هو المنطلق لإدانة هنا ولخطوة هناك يمارسها النظام العربي في مساحة منه ضد إحدى دوله؟ ظاهرها أنها من أجل تصحيح وضع تلك الدولة أو تغييره انتصاراً للشعب هناك.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٧) بتاريخ ١٤ ذو الحجة ١٤٣٢هـ، ١١/١١/٢٠١١م.

إذا كان هذا هو المنطلق فالشعوب العربية كلها مضطهدة ومهمشة ومنهوبة ومسروقة ومستخف بها، وحريتها مصادرة وكلمتها مقهورة وحقوقها مضيعة ودينها مغيب وإرادتها مسحوقة، وكل الحكومات العربية تمارس هذا بدرجة عالية وصورة فاضحة في حق شعوبها، وبذلك يتساوى الجميع، وإذا كان كذلك فعلى كل هذه الحكومات أن تنتفض ضد نفسها وتدين ظلمها ضد شعوبها، وتتخذ قراراً جماعياً شجاعاً ينهي تسلطها على هذه الشعوب ومن أجل إنهاء مأساتها وأن ترجع إلى إرادة الأمة في حكم نفسها.

كيف يصحّ للنظام الرسمي العربي أن يكون منه مطالِبٌ بالإصلاح والتغيير ومطالَب؛ بينما كله يعيش الحاجة إلى الإصلاح والتغيير، وكلّه غارق في الظلم والخطأ والتخلّف والاستبداد واضطهاد الشعوب؟!

ما تفسير أن الصوت المطالِب من داخل النظام الرسمي العربي بالإصلاح والتغيير والمحشِّد لهما والمستنصر بالغرب أحيانا لتنفيذهما، هو نفسه المدافع عن ظلم حكومات من داخل هذا النظام، ويثبت أركانها ويدين ويخوِّن أي تحرك داخلي ضد تلك الحكومات وأي حركة إصلاحية تريد أن تغير من الواقع المأساوي؟

ولا يكفيه إلا أن يحشِّد الجيوش لإجهاض أي لون من الحراك يقاوم تلك الأوضاع. من جهة هناك دفاع عن شعوب، ومن جهة أخرى هناك دفاع عن حكومات وحماية

حكومات بينما الحكومات على حدٍّ واحد والشعوب على حدٍّ واحد.

وما تفسير هذا التوافق بين كلمة هذا الصوت وموقفه مع الكلمة الأمريكية والموقف الأمريكي في إدانة من تدين أمريكا، وحرب من تحارب، ومقاطعة من تقاطع، والسكوت عن من تسكت، وتأييد من تؤيد، ومناصرة من تناصر؟

وما تفسير الموقف الأمريكي المتباين من حكومات تتساوى ظلماً وتسلطاً ودكتاتوريةً واستبداداً ونهباً وسرقةً وعبثاً بمصير الشعوب؟ ومن شعوب تشترك في المعاناة والمأساة من هذه الحكومات، وتصادر حريتها وتوأد إرادتها وتحارَب وتُجهَّل وتُمزَّق بثرواتها على يد الساسة المتسلطين عليها؟

حكومةٌ من هذه الحكومات تُدان علناً وتُناصر خفاءً حتى يتمّ اليأس منها، ويُعثر على بديل مناسب لها. وحكومة أخرى يُتدخّل ضدّها بالسلاح، وبالصورة المكشوفة. وثالثة تُغازَل وتُدلّل وتُكرّم لقمع شعبها.

وشعب تُؤجّج مشاعره ويُلهب حماسه ضد حكومته، وربما مُدَّ بالمال والسلاح. وآخر يُغرّر بكلمة، ويلام بكلمة، وثالث يُغرى بالوعود الزائفة، ورابع يُيأس من أجل أن يركع.

السِرُّ تعرفه كل الشعوب، وكل الدنيا، وكل الحكومات. السِّرُّ أن أمريكا لها ميزان واحد، ومقدّس واحد ليس هو إلا مصلحتها المادية، وقبل ذلك المصلحة الماديَّة

لكبار ساستها، والطامعين في رئاستها، والمراكز السياسية العليا فيها»[1].

حركات الإصلاح والتغيير بين الأخطار والهواجس

إن بقاء الأنظمة المستبدة مرهون بإرادة الأجنبي، والأجنبي لا ثوابت له في صداقاته أو عداواته، حيث إن ثابته الوحيد المصلحة الذاتية، لذا نراه يوجد البديل وإن كان إسلامياً من حيث إطاره وعنوانه لا محتواه ومضمونه، خدمة لنفوذه وتحقيقاً لمصالحه. أو يغازل من هو قوي في الميدان من أجل تحييد مبادئه أو مساومته عليها أو تغييرها.

يقول سماحته:

«امتحن الوطن العربي خاصة والوطن الإسلامي عامة منذ زمنٍ طويل بأنظمة حكم تسلطية، فرضت نفسها على خلاف إرادة الأمة ودينها، ولا يمكن لها في ظل وعي الأمة وصحوتها وإدراكها لمقتضيات هويتها ومصلحتها واعتزازها بذاتها وحضارتها، أن تنال ولاءها وثقتها ومناصرتها، فصارت تعمل دائماً على تجهيلها واستغفالها وقتل إرادتها، ومنع أسباب القوة والنهوض عنها، درءاً لما تراه خطراً عليها في صحوتها ووعيها وقوتها، وإدراك مأساتها، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، لقد مكنت هذه الأنظمة الأجنبي من

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٧) بتاريخ ١٤ ذو الحجة ١٤٣٢هـ، ٢٠١١/١١/١١م.

رقبتها، وأباحت له الأرض العربية والإسلامية وخيراتها، وأعانته على غزو ثقافتها وأخلاقيتها وقيمها، وإفساد دينها وتربيتها، شعوراً منها أمامه بالضعف، وحاجتها إلى دعمه وتأييده في قبال حركة الشعوب المتوقعة، وهذا ما جعل بقاء هذه الأنظمة مرهوناً بإرادة الأجنبي، وأتاح له أن يبتزها بأي درجةٍ من الدرجات متى شاء وكيف شاء، وجعل له تغلغلاً واضحاً في كل مفاصل هذه الدول الذليلة المستسلمة، وملكه علاقاتٍ مهيمنةً على مستوى التفكير والشعور والإرادة ونوع الطموح على كثيرٍ من أبنائها خارج جسم الحكومات، لتكون البديل المناسب لخدمة نفوذه ومصالحه عند الضرورة.

وقد جعل هذا الواقع المعقد حركات الإصلاح والتغيير الصالح في الأرض العربية والإسلامية، تواجه خطر القمع الداخلي العنيف على يد الأنظمة الحاكمة والدعم الأجنبي لها، والذي كان قائماً في المثال الليبي إلى وقتٍ كان القذافي يقمع فيه الشعب وينزل حمم سخطه عليه.

كما تواجه خطر البديل المتعاون مع الاستعمار الأجنبي من أبناء شعوبها، ممن صُنعوا على عين المستعمر نفسه لمدة طويلة على أيدي الحكومات الظالمة، وأُعدُّو بصورة جاهزة لخدمته وتمثيل سياسته وأهدافه.

وخطرٌ آخر على حركات الإصلاح والتغيير في البلاد العربية والإسلامية، قد أوقعها فيه ذلك الواقع المرير الذي صنعته الأنظمة الفاسدة والحكومات الجائرة، وهو شعور الكثير من هذه الحركات [بالحاجة] إلى مغازلة الأجنبي

واسترضائه، والدخول في مساومةٍ معه، لا إيماناً بقيمته ولكن إذعانا لهيمنته، وقبل أن تتحرر حركة تغيير أو إصلاح من هذا الهاجس، وتتمتع بروح الاستقلال الحقيقي، وتعتمد على قوتها الداخلية ورصيدها الوطني، وجهدها وجهادها وتضحياتها وإن طال الطريق، وذلك وإن قلَّ إلا أنه قد تحقق على الأرض وهو قائمٌ وموجودٌ فعلاً. وإذا وُجد كان معادًى من جميع قوى الظلم والانحراف والزيف والضلال، وكان عليه أن يواصل جهوده المضنية، ويصبر على مُرِّ الأعداء الكثيرين وحربهم وأذاهم، وأن يملك دائماً انتباهه ويقظته لما يدور حوله وما يحاك له من مؤامرات، وأن يبني قوة متينةً متناميةً تحميه.

ولا أمل في تحرر الأمة وانعتاقها من ذلّ العبودية لقوى الطاغوتية في الداخل والخارج، إلا في حركة إصلاح أو تغييرٍ مستقلة عن هيمنة القوى المعادية للأمة، تولد من رحم أمتها المجيدة، ووعيها الإسلامي، وخطها الحضاري، وإرادتها الحرة التي لا تخضع إلا لله، ولا تستكين إلا أمام إرادته، ولا تتطلع إلا إليه، ثم لا تعتمد مع بذل كل الجهد إلا على ربها، وتتحمل المعاناة الصعبة والتضحيات الجسيمة في سبيله، وتكون على نباهةٍ ووعيٍ بالغين لا يسمحان بأن تسرق صنائع الأجنبي وخلاياه المعدة عطاء التضحيات الباهظة لجماهير الأمة ومكاسبها»[1].

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٢) بتاريخ ٨ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، ٧/ ١٠/ ٢٠١١م.

الإسلاميون والامتحان الصعب

ويقول سماحته:

«هناك أكثر من ثورة عربية أسقطت نظاماً حاكماً مغضوباً عليه من شعبه، وهي في طريقها لإقامة حكومة أخرى ونظام حكم آخر مكانه وعلى أنقاضه، والغالبية في الشعوب العربية ـ عاطفة أو رأيا وعاطفة ـ لا تقدم نظاماً وحكماً على الإسلام ولا تنسجم معه، وفي حال أن تجرى انتخابات حرة بالمعنى الحقيقي، بعيدة عن كل ألوان المغالطة والغش والخداع والمراوغة والاحتيال والتلاعب وشراء الذمم، فسنجد أن خيار الغالبية من الشعوب الإسلامية هو الإسلام.

وهنا يكون الإسلام والإسلاميون أمام تجربة جديدة صعبة، وامتحان عسيرٍ مكشوفٍ مؤثرٍ بدرجة عالية على مصيرهما، ولو أخفقت هذه التجربة ـ المتطلع إليها من قبل جماهير مسلمة عريضة، والتي ستكون مراقبة بالمجهر الدقيق من قبل مختلف الملايين، ومقاومةً من قبل كثيرين ـ فإنها ستكون أشد خطراً وأبلغ في تأثيرها السلبي على الإسلام من حالة إقصائه عن السياسة وعداوتها السافرة له.

والإسلام قد خاض تجربة الحكم قديماً وحديثاً، ولم تحقق أي أطروحة أخرى ما حققه من نجاح حينما خاض هذه التجربة برؤيته وعقيدته الدينية والسياسية الصادقة وشريعته وقيمه وأخلاقيته الحقيقية.

وكذلك قد خاض الإسلام تجربة الحكم مظلوماً على يد التزوير والأطماع الرخيصة ممن لا يؤمن به حق الإيمان، وإنما اتخذه مطيةً لأطماعه وهو عابدٌ للدنيا ـ ولأكثر من مرة في القديم والحديث ـ فسجل ذلك تشويهاً للإسلام، وتحريفاً لأحكامه وقيمه، وإسقاطا لوزنه، وانقلاباً في الرأي العام ـ في أوساط المسلمين ـ عليه، وبحثاً عن بديلٍ سيءٍ له.

واحتيج في تصحيح رأي الناس في إسلامهم بعد ذلك إلى جهود مضنية، وتوعية صبورة، وثورات قاسية، ودماء غزيرة.

ويبقى امتحان الإسلاميين في التجربة الجديدة، لو تأتى للأمة أن تعطيهم خيارها، وتضع يدها في يدهم، وتحمِلهم أمانة الحكم وهي أمانة ثقيلة لا يتحملها إلا أمناء كبار، وقادة أوفياء، وعقول راجحة، وهمم عالية، ونفوس متحررة من شهواتها، متأبية على الأهداف الرخيصة، وذمم طاهرة، وأيد نظيفة، وفهم إسلامي ناضج، وقلوب لا تغفل عن ذكر الله ولا يصرفها عنه لهو ولا تجارة.

موقع الحكم يتطلب كل هذا، فهل يكون الإسلاميون في هذه التجربة الجديدة بوزن هذه الأمانة الكبرى بمقدار لا يسيء إلى الإسلام، ولا يظلمه ظلماً أشد من ظلم أعدائه؟ هل يقربون في فهمهم من فهمه، وفي طهر نفوسهم ونياتهم من طهره، وفي حكمتهم من حكمته، وفي إنسانيتهم من إنسانيته، وفي عقلانيتهم من عقليته؟ وهل يأخذون في سيرة

حكمهم نزاهة تزينهم من نزاهته، ودرجة عدل ـ تعشقهم بها الملايين ـ من عدله المطلق الشامل الذي تفرد به؟

إن كان لهم ذلك، سعدت بهم الأمة وسعدوا بها، وحمتهم بقلوبها وأيديها، وكانت قلعتهم الحصينة، وسياجهم المتين، ودعامة وجودهم الثابتة بعد دعم الله وحمايته، ودخل الناس في دين الله أفواجا، وتعمق إيمانهم به، وتصلب وتثبت اختيارهم الإسلام ولن يستبدلوا عنه أو يتخلوا عن نصرته.

أما لو أساؤا فهم الإسلام، ولو صبغوه بالعصبية العمياء، لو فصلوه عن بعده الإنساني، لو أوغلوا السيف في رقاب العباد، لو ظلموا وهم يعلنون انتماءهم للإسلام ويتحدثون باسمه، لو كان أول تنافسهم على المواقع والثروة، لو اشتغلوا بالغنائم عن هموم الناس ومشاكلهم، لو توجهوا لبناء الأمجاد الدنيوية الشخصية والفئوية ضاربين بمصالح الأمة عرض الحائط، فإنهم سيسقطون من نظر الأمة، وسيسقطون الإسلام من ناحية عملية إلى حدٍ كبير، ويجنون عليه أكبر جناية، وفي الجناية على الإسلام أعظم جناية على الأمة المظلومة والإنسانية المعذبة، وحرمان لأهل الأرض من منقذ لا منقذ لهم سواه إلى مدى قد يطول، وإن كان لا بد أن ينقذ الإسلام العالم من مأساته التي أغرقها فيها البعد عن الله سبحانه على يد الكافرين والظالمين.

ويُسقط الإسلاميين ـ الذين يصلون إلى الحكم باسم

الإسلام ـ ويُنزل به ضربة قوية أن يساوموا أعداءه عليه، ويحرفوه مجاملة لهم وكسباً لودهم، ليجدوا فيهم سنداً أو يأمنوا منهم شراً وتأمرا.

نجاح الإسلاميين في حكم الأمة أو شعب من شعوبها أن يكونوا رساليين مبدئيين بمقدار رسالية الإسلام ومبدئيته، واقعيين عند حدود واقعيته، جديين بمستوى جديته، منفتحين بسعة انفتاحه، نزيهين كنزاهته، عادلين في الناس لا يعدلون عن عدله، بعيدين عن كل عصبية أرضية تعكر نقاءه وصفاءه، بهذا يقوون وتقوى بهم الأمة ويجدون منها محضراً دافئا، وحصناً حصيناً، وعيناً ساهرة، ويداً ضاربة، وإمداداً غير منقطع، وبهذا يحترمهم العدو ويهابهم، ويعطون لأوطانهم الإستقلال ولأمتهم العزة والمهابة والكرامة.

يخطئ الإسلاميون لو طلبوا البقاء في الحكم عن طريق الإكراه والتحايل على الأمة وترهيبها، إنهم يستطيعون أن يضمنوا البقاء في الحكم والعودة إليه عبر صناديق الاقتراع في كل مرة تعطى الأمة فيها فرصة الانتخاب، لو رأى الناس منهم صدق الإسلام وعدله ورحمته وأخلاقيته، واهتمامه بتقدم المجتمع في كل مسارات حركته الصالحة وأبعاد وجوده الكريمة، ولو رأوا منهم التفاني في خدمة الشعب والإخلاص له، والأمانة الصادقة على ما تحت أيديهم من خيراته وثرواته، والاحترام لإرادته وكرامته على خلاف ما رأوا ويرون في غيرهم من الطغاة والمستكبرين وأهل المصالح الدنيوية الضيقة.

وبعدَ أن تجدّد وجود الأمّة فكراً ورؤية وإرادةً وطموحاً وعزماً وشعوراً بالعزّة والكرامة ووعياً وخبرة، لن يسعَ الأنظمة المُنبثقة عن الثورات العربيّة أن تتعامَلَ مع شعوبها تَعامُلَ الأنظمة البائدة وأن تعودَ بها إلى ما كانت عليه من حالة الإقصاء والتهميش والاستغلال والاستنزاف والذيليّة والتبعيّة المهينة.

ومن جهةٍ أخرى لا بدّ أن تتركَ الأنظمة الطاغوتيّة التي أسقطتها إرادة الشعوب بصماتٍ سيّئة ومتاعِبَ جمّة وآثاراً مُعرقِلة وأزماتٍ متراكمةً من مخلّفاتها، يُحتاج للتخلّص منها مع الجدّ والإخلاص إلى جهودٍ مُضاعَفة ووعيٍ كبير وعملٍ حثيث وزمنٍ مُمتد»[1].

مستقبل الصحوة ورياح التغيير

إن مستقبل صحوة الشعوب مرتبط بمدى رجوعها إلى إسلامها ونصرتها لربها وبارئها وخالقها ورازقها، ومن ينصر الله ﷻ، فالنصر حليفه لا محالة.

يقول سماحته:

«كل الأنظمة الجائرة عليها أن تعدل، كل الحكومات المفسدة عليها أن تُصلِح، وإلا فلا مكان لها في المستقبل، هذا هو منطق الواقع الجديد لإنسان الأمة وشعوب الأمة

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٧٥) بتاريخ ٢٩ ذو القعدة ١٤٣٢هـ، ٢٨/١٠/٢٠١١م.

وكل شعوب العالم، وهذه هي الحتمية المترتبة على الصحوة والثورة العارمة في وعي الأمة وإرادتها والمتولدة من وحي الحياة الجديدة في إيمانها بربها وإسلامها»[1].

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٤٨٦) بتاريخ ١٩ صفر ١٤٣٣هـ، ١٣/١/٢٠١٢م.

الديمقراطية من منظور إسلامي

مقدمة

الديمقراطية سلاح ذو حدين، وهي من حيث المعنى والمفهوم عائمة ضبابية، ومن حيث التجربة والواقع متلونة متفاوتة، وضبابية المفهوم وتفاوت التجربة سببهما بشرية المصطلح منشئاً وممارسةً، فالديمقراطية مصطلح يوناني مؤلف من لفظين (ديموس) ومعناه الشعب و (كراتس) ومعناه سيادة، فمعنى المصطلح إذاً سيادة الشعب أو حكم الشعب، والديمقراطية نظام سياسي اجتماعي تكون فيه السيادة لجميع المواطنين ويوفر لهم المشاركة الحرة في صنع التشريعات التي تنظم الحياة العامة، والديمقراطية كنظام سياسي تقوم على حكم الشعب لنفسه مباشرة أو بواسطة ممثلين منتخبين بحرية كاملة[1].

وهي تفرق بين ثلاث وظائف سياسية للدولة الديمقراطية، الوظيفة التشريعية: ويقصد بها وضع القوانين، والوظيفة التنفيذية: ويقصد بها ضمان سير العمل في الدولة على أساس هذه القوانين،

---

(١) المصطلحات السياسية الشائعة، فهد عبدالله المالكي، صفحة ١١٥.

والوظيفة القضائية: ويقصد بها الفصل في المنازعات على أساس القوانين الصادرة من الهيئة التشريعية كالمجلس النيابي واللوائح الصادرة من الهيئة التنفيذية[1].

والمقصود بسيادة الشعب في تعبير الديمقراطيين هو أن الشعب يمثل السلطة العليا التي لا تعلوها سلطة، وهو مركز إصدار القوانين والتشريعات، وتتصف السيادة بعدة أمور:

- **القطعية**، أي أنّها هي الشرعية العليا ولا حدود لسلطتها في سنّ قوانين الدولة.

- **العمومية**، الشاملة لجميع الأفراد والمنظمات داخل حدود الدولة.

- **الدائمية**، بحيث يستمر مفعول السيادة.

- **اللا تجزيئية**، لأن السيادة تتضمن عدم المشاركة والتقسيم، فلا يمكن أن يكون هناك أكثر من سيادة واحدة[2].

فالحكم الديمقراطي بمقتضى تعريف الديمقراطيين له يلاحظ عليه أمران أساسيان:

الأمر الأول: استبعاده حق الله ﷻ الذي له الحكم كلّه، وبأمره تأتي سلطة كل من له سلطة من بعده، وبسبب هذا يكون الحكم الديمقراطي مبايناً للحكم الإسلامي من حيث البعد المنهجي؛ لأن الحكم الإسلامي قائم على أن الأصل في الحكم

---

(١) القاموس السياسي، وضع أحمد عطية، صفحة ٥٤٨.

(٢) موسوعة السياسة، عبدالوهاب الكيالي، ٣ / ٣٥٦.

إنما هو لله ﷻ وحده، بينما الحكم الديمقراطي يرى سيادة وحاكمية البشر بالأصالة.

الأمر الثاني: عدم إقرار الحكم الديمقراطي بأحكام الشرع ووجوب تنفيذها أولاً، وهي الأحكام الشاملة لأحكام الكتاب الكريم والسنة المطهرة واستنباطات الفقهاء والمجتهدين المتخصصين الجامعين لشروط الاستنباط.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[1].

وبسبب هذا أيضاً يكون الحكم الديمقراطي مبايناً للحكم الإسلامي، فالحكم الإسلامي يفرض أولاً العمل بكل حكم شرعي ثابت بدليل قطعي، أو بدليل ظني اعتبره الدليل القطعي، بينما الحكم الديمقراطي يحكم ابتداءاً بما شرعه البشر، ويجانب حكم الله ﷻ.

وفي ما يلي نسلط الضوء على مصطلح الديمقراطية من خلال استقراء مجموعة من خطب وكلمات سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم.

الديمقراطية منهج أو وسلية

يرى سماحة الشيخ بأن الديمقراطية لا تمثل في حقيقتها منهجاً أصيلاً للحكم، لأن الحاكمية الأصيلة لله ﷻ وحده، فليس

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ٣٦.

من الصحيح أن تكون الديمقراطية بنفسها غاية، بل هي مجرد وسيلة قد تكون موصلة إلى المنهج الأصيل والحاكمية الحقيقية لله ﷻ، والشعب ليس له سيادة تشريعية استقلالية، فسيادة الشعب منبثقة من إيمانه بالله ﷻ، وبشريعته السمحاء، أما إذا كان الشعب بلا قيم وبلا إيمان فهو يرسخ حكم الجاهلية لا حكم الله ﷻ.

منهج الله ﷻ لا منهج الديمقراطية

مشكلات الأرض يحلها المنهج العليم، والجهاز الصالح المؤمن به، والتربية على القيم. والمنهج العليم الدقيق الأمين هو منهج الله ﷻ، والجهاز الصالح المؤمن به لا يكون إلا من إعداده، والتربية على القيم لا تكون إلا من صنعه وفي ضوء ركائزه[1].

الديمقراطية وسيلة وليست غاية

إن الديمقراطية نفسها لا تحل المشكلة وإنما يحلّها ما قد تعتمده من منهج إلهي صحيح، وهي طريق فحسب للتمكين لهذا المنهج ولحكومة من صنعه[2].

شعب بلا قيم وفرد بلا قيم

كثيراً ما نتحدث عن حكم الشعب أو الفرد، وحكم

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٢٥) بتاريخ ٢٣ جمادى الثاني ١٤٢٤هـ ٢٢/٨/٢٠٠٣م.

(٢) المصدر السابق.

الشعب بلا قيم لا ينقذ، وحكم الفرد بلا قيم لا ينقذ. حكم الفرد الاستبدادي كارثة، وحكم الشعب بلا قيم لا ينقذ، إذ أن شعباً بلا قيم هو مجموعة حيوانات عدوانية مفترسة كاسرة متغالبة، وسافلة ساقطة، فلا تفكروا في ديمقراطية تنقذكم ولا غيرها، حيث يخرُّ سقف القيم أو يهبط كثيراً[1].

الديمقراطية الجاهلية

لو انصبَّ خيار على منهج جاهلي فستركّز الديمقراطية الجاهلية. والمجتمع الجاهلي لا يختار غير منهج جاهلي، وإذا كان الشعب المؤمن الواعي لا يختار إلا حكومة مؤمنة عادلة، فإن الشعب الفاسق لا يختار إلا حكومة من جنسه، والشعب المؤمن إذا أمكن استغفاله كان جسراً لحكومة تكفر بالعدالة وتحارب القيم. الديمقراطية بلا وعي وبلا تماسك وبلا إيمان وبلا فهم موضوعي كارثة[2].

حاكمية الخالق أو حاكمية المخلوق

يرى سماحة الشيخ بأن للديمقراطية عدة أسس، وأساسها الأول الحرية المطلقة، وهي التي تعطي للشعب حق التشريع بالأصالة ومن دون وصاية أحد عليه، وتعطيه حق اختيار نظامه وإن كان علمانياً، وحق اختيار قيادته وحكومته وإن كانت فاسدة،

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٢٥) بتاريخ ٢٣ جمادى الثاني ١٤٢٤هـ ٢٢/٨/٢٠٠٣م.

(٢) المصدر السابق.

ويفرق سماحته بين الحرية في ظل الإرادة التكوينية والحرية في ظل الإرادة التشريعية، فالإنسان حر في ظل الإرادة التكوينية، فله أن يفعل وله أن يترك، أما بعد أن يؤمن بالشريعة الإلهية، فهو ليس حراً في اختياره ما يتنافى مع تلك الشريعة، بل لا بد أن يأتمر بما أمره الله ﷻ، وينتهي عما نهاه الله ﷻ. نعم، هو حرٌّ في الإرادة التشريعية أيضا ولكن في إطار المباحات، دون فعل المحرمات أو ترك الواجبات.

وعليه، فالإنسان ـ فرداً كان أو شعباً ـ لا يمتلك حق التشريع الاستقلالي، وليس له ـ بعد إيمانه بالله ﷻ وبشريعته ـ أن يختار عن تلك الشريعة بدلاً. بل الحاكمية كل الحاكمية لله ﷻ.

الحرية المطلقة أسُّ الديمقراطية

من مساحات الديمقراطية:

١ . التشريع: فالتشريع تعتبره الديمقراطية مسرحاً لها، ومساحة من مساحاتها فتُعطي للشعب أن يشرّع، وللأمة أن تشرّع لنفسها من دون أيّ وصاية من خارج الكون المادي أو من داخله، من داخل دائرة الإنسان أو من خارج دائرة الإنسان.

٢ . اختيار النظام: أن يكون جمهورياً، أن يكون ملكياً، أن تكون الملكية مطلقة، أن تكون الملكية دستورية، أن يكون النظام دينياً، أن يكون النظام علمانياً، هذا كلّه شأن من شؤون الشعب والأمة، فهي التي تختار نظامها وتحدد منهج حياتها بالكامل.

٣ . اختيار القيادة: ـ كرئيس الجمهورية أو الملك مثلا ـ واختيار الحكومة، وفصل هذه القيادة، وهذه الحكومة حق من حقوق الشعب في الديمقراطية.

وهنا نسأل ما هو منطلق الديمقراطية أو أساسها الأول؟ نحن قد نؤمن بالديمقراطية عملياً[1] بلحاظات موضوعية معيّنة، ولكن هذا لا يعني أن نحتضنها دينا، وأن لا نناقشها فكرا، وأن لا نحاسبها منطلقا ونتيجة.

منطلق الديمقراطية وأساسها الأول هو الحرية المطلقة، وأن الإنسان حرّ لا قيد على اختياره ولا تصرّفه، وهذه الحرية لا بد لها من خلفية.

الخلفية الأولى: هذه الخلفية يمكن أن تكون هي إنكار الربوبية حيث لا يكون إله قد خلق الكون والإنسان، فهنا واضح جداً أن الإنسان يكون سيد نفسه، وليس لأي جهة من الجهات سلطة عليه.

الخلفية الثانية: أن يكون هناك خالق، ولكن هذا الخالق نقلّص حقّه، ونحدّ صلاحياته، ولا نعطيه حاكمية على ما خلق في المساحة التي نستطيع أن نحدّ حقه فيها، وهي المساحة التي وهب لنا فيها القدرة على الاختيار.

الخلفية الثالثة: أن نقول بأن الله خالق، وله الحق في أن يتدخل في حياتنا؛ في التشريع، في الحكومة، في أي

---

(١) أي من حيث الممارسة لا من حيث المنهج.

شيء، ولكن جاء منه تفويض للإنسان بأن تصرّف كيفما تشاء.

الخلفية الرابعة: أن نقول بأن الله ﷻ لم يرسل رسلا، ولم ينزل كتبا، فنحمل هذا على أن لنا الحرية التامة في التصرّف في شؤوننا الخاصة وفي الشأن العام. وهذا لون من التفويض بلغة سلبية يقابل اللون الأول من التفويض الذي يأتي بلغة إيجابية[1].

الحرية بين الإرادة التكوينية والإرادة التشريعية

نحن بما أننا مسلمون معتقدون تماماً من منطلق توحيدنا، بأن شيئاً في هذا الكون لا يمكن أن يحدث بلا إذن تكويني من الله، بمعنى أن قدرةً وقوة وعلما وحكمة يحتاجها الكون في تسييره لا توجد من مصدر آخر غير مصدر الله ﷻ.

قيام السموات، استمرار الأرض، استمرار الحياة كل ذلك بمدد من الله ﷻ عن طريق الخلق المستمر، عن طريق تدفق الفيض الإلهي المستمر، عن طريق تنزّل الوجود، عن طريق تنزل الحياة على ما في الوجود وعلى ما في الحياة. هذا الفعل من الله نسميه فعلاً تكوينياً.

مرة يريد منك الله أن تصلي بالإرادة التكوينية فيثبّتك في

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٤٠) بتاريخ ١٤ ذو الحجة ١٤٢٤هـ، ٦/٢/٢٠٠٤م.

المحراب، يُطلق لسانك قهراً عليك، يُسجدك، يُركعك، يجعلك تأتي بكل الأذكار قهراً عليك وبلا إرادة، هذه صلاة منك كتبها الله عليك بالإرادة التكوينية قهراً جبراً.

ومرة يقول لك صلِّ، أعطاك قوة الصلاة، وأعطاك قوة عدم الصلاة، أعطاك إرادة أن تصلي وإرادة أن لا تصلي، وقال لك صلِّ، هذا هو التشريع.

فهناك إرادتان، ولا شك أن إرادة الله التكوينية لا يتخلف عنها متخلف، هذه الإرادة التكوينية ثابتة بلا إشكال عند كل متديِّن.

والإرادة التشريعية عبّرت عنها الأوامر والنواهي التي نزلت بها الكتب وجاءت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين[1].

الحرية التكوينية

ونسأل الآن: هل نحن مجبورون مقهورون بالإرادة التكوينية على الأخذ بمنهج معيّن؟ طبعا لا، نحن مختارون، كل الناس يستطيعون أن يختاروا هذا المنهج أو ذاك المنهج، هذه الحكومة أو تلك الحكومة، هذا النظام أو ذاك النظام، فنحن أحرار بالإرادة التكوينية، يعني لسنا مقهورين من الله، لسنا مجبورين من الله على سلوك درب معين، لكن بعد أن أسلمنا، وآمنا بالله ورسله وكتبه هل نحن أحرار من

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٤٠) بتاريخ ١٤ ذو الحجة ١٤٢٤هـ، ٦/ ٢/ ٢٠٠٤م.

ناحية تشريعية؟ لا. يعني هل جوّز لنا الله ﷻ أن نطيعه أو نعصيه بلا فرق؟ وقال لنا أطعتم أو عصيتم فلا عقاب ولا ثواب؟ وأنا أساوي بين مطيعكم وعاصيكم؟ هذا تخيير تشريعي[1].

الحرية التشريعية في المباحات

في المباحات لك أن تشرب ما في هذا الوعاء أو لا تشرب، ولك أن تشرب الماء في هذه اللحظة إذا كانت حياتك لا تتوقف على شربه ولا يضر بك عدم الشرب ضرراً بالغاً غير مسموح به في الشريعة، فأنت في هذا المورد لك أن تشرب، ولك أن لا تشرب بالإرادة التكوينية، وكذلك لك أن تشرب أو لا تشرب بالإرادة التشريعية، فأنت مخيّر، ومسموح لك من ناحية التشريع بالشرب وعدمه[2].

لا حرية تشريعية في فعل المحرمات أو ترك الواجبات

لكن هل تأتي شريعة الله ورسل الله أمام قتل النفس المحترمة البريئة، فتقول لك: مباح لك أن تفعل، وسواء قتلت أو لم تقتل فموقف الله منك سواء؟ طبعاً هذا ليس موجوداً.

نقول: نحن مريدون بالإرادة التكوينية، يعني: نستطيع،

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٤٠) بتاريخ ١٤ ذو الحجة ١٤٢٤هـ، ٦/٢/٢٠٠٤م.

(٢) المصدر السابق.

ونملك القدرة بين أن نطيع ونعصي، بين أن نأخذ بمنهج الله أو لا نأخذ به، بين أن نأخذ بهذا الطريق أو بذاك الطريق، هذا من ناحية تكوينية.

ولكن من ناحية تشريعية قد حدد الله لنا منهجاً وطريقاً وسلوكاً وحكومة أيضاً. فنحن نعتبر أنفسنا مخاطبين من الله ﷻ بخطاب يُلزمنا ويطوق رقابنا[1].

الإسلاميون والديمقراطية

يرى سماحة الشيخ بأن الديمقراطية من القضايا الفوقية التي تحتاج إلى بنية تحتية ترتكز عليها، فهي ليست مسألة تأصيلية بل هي بنفسها تحتاج إلى تأصيل، ويقسّم (الشيخ) الإسلاميين إلى قسمين من حيث التعاطي مع الديمقراطية، من يرفضها ـ وله مبرراته ـ ومن يقبلها ـ كوسيلة لا كمنهج ـ ويرى بأنه ليس للمسلمين الخيار في اختيار النظام غير الإسلامي، بل هم ملزمون من حيث الإرادة التشريعية باختيار النظام الإسلامي، وإن كانوا من حيث الإرادة التكوينية مختارين. وبعدها يطرح إشكالية قبول التصويت في بعض الظروف، ويمثل بالتصويت الذي دعا إليه الإمام الخميني على أصل النظام الإسلامي، ويعالج هذه الإشكالية التي يثيرها البعض. ويطرح مثالاً آخر في الساحة العراقية يتعلق بدعوة سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني دام ظله في المشاركة في الانتخابات، ويعالجها.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٤٠) بتاريخ ١٤ ذو الحجة ١٤٢٤هـ، ٦/ ٢/ ٢٠٠٤م.

ويرى سماحته بأننا نعيش في ظروف ثانوية، وليست ظروفاً عادية. والحكم الشرعي قد يأخذ صيغة أخرى في ظل الظرف الاستثنائي دون صورته في الظرف العادي.

حاجة الديمقراطية إلى البنية التحتية

هناك قضايا أساس تنبني عليها كل الحياة، وهناك قضايا فوقية تحتاج إلى بنية تحتية لتقوم عليها. الديمقراطية من القضايا الثانية وليست من القضايا الأولى.

فالديمقراطية تحتاج إلى تأصيل لا أنها هي التأصيل. والتأصيل الغربي للديمقراطية غير وارد عند الإسلاميين.

والإمامة قضية من القضايا الفوقية، والشورى قضية من القضايا الفوقية، وليستا من القضايا التحتية التي تتأسس عليها بنية الحياة.

القضية الأم التي تتأسس عليها بنية الحياة، وتقوم عليها مثل قضية الإمامة والشورى هي قضية التوحيد.

الديمقراطية بمعناها الغربي لا نجد لها تأصيلا في الإسلام وإنما تأصيلها يتنافى مع التأصيل الإسلامي تماماً، لكن هذا لا يعني أن الإسلاميين يعادون الديمقراطية بكل معانيها[1].

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٨٢) بتاريخ ٣ ذو الحجة ١٤٢٥هـ، ٤/١/٢٠٠٥م.

الإسلاميون على قسمين

الإسلاميون اليوم قسمان؛ قسم يرفض الديمقراطية رفضاً تاماً ويلجأ إلى خيار القوّة، ولا يختار على السيف الديمقراطية، ووراء ذلك خلفيّة من واقع موضوعي عاشه أولئك الإسلاميون، رأوا ظلماً لا يكف، واستهتاراً بالإسلام لا يفتر، وتكالباً على محاربة الدين، وعدم إصغاءٍ للكلمة، واستكباراً فاحشاً على الله ﷻ في الأرض، وانضم إلى ذلك ما انضم إليه، فصاروا من وراء ذلك كلّه لا يختارون غير السيف.

لا نصحح موقفهم، ولكن أقول: إسهام جهة الاستكبار وجهة الظلم في ذلك ربما كان أكبر.

القسم الآخر من الإسلاميين لا يرى الديمقراطية ديناً، ولا مجسدةً للحق دائماً، ولا كاشفة عن الواقع، لكنّه يراها آليّة لحسم النزاع في الشأن العام، فهذا القسم يأخذ بالديمقراطية ويلتزم بنتيجتها ويقدمها على العنف.

القسم الأول يئس، والقسم الثاني لا زال يجرّب.

وستكثر حركات العنف والإرهاب كلّما تفاقم الظلم، وكلّما أُهمل شأن الكلمة، وأُحبط الناس بالنسبة لفاعلية النصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمطالبة السلمية الهادئة، هذا ليس في بقعة من الأرض وإنما في كل الأرض.

إذا اشتدّ الضغط ولم تنفع وسائل السلم فكثيرون هم

الذين سيلجأون إلى العنف، إلى القوة، وربما قادتهم القوة إلى العنف غير المبرّر وغير الصحيح[1].

اختيار النظام غير الإسلامي

حينما نتحدث عن اختيار النظام السياسي، ونظام الحكم ونقول: هل للمجتمع أن يختار نظامه السياسي، وهل له أن يختار السلطة في نظر الإسلام أو ليس له ذلك؟ فلنسأل: هل نحن مخيّرون بين الإسلام وغيره؟

من ناحية تكوينية نحن مخيّرون، يعني أنت تمتلك قدرة على أن تختار الإسلام وعندك الإرادة الكافية لأن تختار الإسلام على غيره، أو تختار غيره عليه. الكلّ منّا يمتلك إرادة كافية موهوبة من الله ﷻ لأن يُقدّم الإسلام على غيره في حياته أو أن يُقدّم غيره عليه.

أما التخيير التشريعي: يعني هل هناك تشريع في الإسلام يُخيّر الإنسان بين الإسلام وغيره؟ لا، الإسلام من ناحية تشريعية يقول لا دين إلا الإسلام، ولا أطروحة إلا الإسلام.

من أراد أن يطيع الله فليس أمامه إلا أن يأخذ بالإسلام. فلا تخيير من ناحية تشريعية وإنما التخيير من ناحية تكوينية.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٢٩٦) بتاريخ ٢٦ رجب ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧/٨/١٠م.

وإذا كان للإسلام طرح سياسي، فهذا الطرح السياسي ليس محلاً للتخيير، وإنما الإنسان لا يقبل منه الإسلام إلا أن يأخذ بنظامه السياسي في حالة الاختيار.

وعن اختيار السلطة: إذا وُجد الرسول ﷺ وطرح نفسه حاكماً فليس لأحد من المسلمين أن يتخلّف عن قبول حاكميته. يستطيعون أن يمتنعوا عن حاكميّة الرسول ﷺ ولا يتعاونون معه على مستوى الإرادة التكوينية، أما من ناحية تشريعية فليس لهم أن يتخلّفوا عن حاكميته ﷺ ودعمها.

وإذا وُجد المعصوم عدا النبي ﷺ، وطرح نفسه حاكماً فليس لأحد من المسلمين أن يتخلّف عنه وإنما على الجميع مبايعته.

هم من ناحية إرادية تكوينية يستطيعون أن يمتنعوا عن مبايعة المعصوم، ويستطيعون محاربته، لكن إذا أرادوا أن يكونوا مؤمنين، مطيعين لله ﷻ، فليس أمامهم إلا أن يبايعوه عليه السلام.

وإذا قلنا بأن الفقيه خليفة المعصوم في غيابه من ناحية الدور السياسي، ودور الحاكمية، فإنه إذا طرح نفسه حاكماً، وجب على المسلمين أن يبايعوه، وهم يستطيعون أن يمتنعوا عن مبايعته، ويستطيعون محاربته من ناحية تكوينية، أما على المستوى التشريعي فإن الإسلام لا يسمح لهم بالتخلّف عن هذه البيعة.

فإذاً، المسلمون لا يتمتعون من الناحية التشريعيَّة،

والصلاحية الدينيَّة بأن يقبلوا الحكم الإسلامي أو لا يقبلوه، وإنما عليهم قبوله، ليس لهم أن يتخيّروا بين نظام سياسي إسلامي، وبين نظام سياسي علماني مثلاً، وكذلك الأمر بالنسبة إلى شخص الحاكم عند حضور المعصوم عليه السلام، أو وضعه عند غيابه، فعند حضور المعصوم يكون متعيناً، وفي حال غيابه تكون أوصاف الحاكم مأخوذة من الشريعة.

نعم إذا وُجد أكثر من فقيه كفء للمنصب ورشحوا أنفسهم لملئه، فإن لهم أن يتخيروا بين هؤلاء الفقهاء ويبايعوا من يرونه أنه الأصلح، وهذه البيعة إما أن تأتي على مستوى أهل المشورة، أو تأتي على مستوى الأمة بكاملها[1].

الإسلاميون وإشكالية التصويت

كيف نوائم بين حكم الله بالإسلام وبين التصويت على قبول أطروحته في الحكم؟

الله عزّ وجلّ يوجب الأخذ بالإسلام، ولا يرخّص في الأخذ بغيره، فكيف يحقّ لنا، وفي مجتمع مسلم، أن نصوّت على قبول الأطروحة الإسلامية في المجال السياسي وعدم قبولها؟ في حين إن هذا التصويت إنما يجري في الحالة الاستثنائية؟

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٨٢) بتاريخ ٣ ذو الحجة ١٤٢٥هـ، ٤/١/٢٠٠٥م.

الأمر يدور بين فتنة طاحنة في المجتمع الإسلامي، وبين التصويت على الأطروحة الإسلامية في المجال السياسي. وحين يكون الأمر كذلك فإن القاعدة لا تجيز ارتكاب الخسائر إلا للضرورة، فإذا انفتح سبيلان لتحكيم الإسلام؛ سبيل التصويت والانتخاب، وسبيل المواجهة العسكرية الدموية، وكانت النتيجة أكيدة في كل منهما، أو كانت متوقعة على حدّ واحد، فإن أسلوب التصويت هو المتعيّن من بين الأسلوبين، لما يمثّله أسلوب المواجهة الدموية من خسائر فادحة لاضرورة لها.

والإسلاميون في البلاد الإسلامية، ولحدّ الآن، وفي ضوء أكثر من تجربة عملية، لهم أن يثقوا بأن النتائج في صالح الإسلام عند طرح المسألة للتصويت.

فالإسلاميون واثقون بأن المجتمع الإسلامي سيصوّت للإسلام لو أُعطي الخيار بين الإسلام وغيره، وقد أثبتت التجربة الإيرانية ذلك وبصورة سافرة وقوية لا يُجادل فيها.

وفي هذا التصويت إسقاط لحجة الآخرين الذين قد يرمون أي حكومة إسلامية تأتي عن غير طريق الانتخاب بالديكتاتورية والاستبدادية. ونحن لا نقدّر إعلام الآخرين من هذه الناحية إلا لما له من أثر سيء على المسلمين أنفسهم.

ثم إن الحكم ليس هو الغرض للإسلاميين، الغرض هو الحفاظ على أصل الإسلام، وعلى نقائه وصفائه، واحتضان الناس له، وبقاء الأُمة الإسلامية متماسكة. وحين تتعرض

وحدة المسلمين للتفتّت، فإن الحرب غير مختارة إلا أن تحكم ضرورة بالغة بذلك لا يمكن الحفاظ على المصلحة الإسلامية بمقتضاها من غير المواجهة العسكرية، وفي أي فرض آخر يمكن الحفاظ على المصلحة الإسلامية العليا من غير تعريض الأمة الإسلامية إلى التفتيت لا يمكن الإقدام على تفتيتها.

وشيء آخر هو أن الحكومة الرسالية الإلهية لها دوران: دور إيجاد أوضاع دنيوية إيجابية مستقرة، فمن دور الحكومة الإسلامية أن تتقدم بدنيا الناس، بصناعتهم، بزراعتهم، باقتصادهم، بسياستهم، والدور الأهم هو صناعة الإنسان؛ صناعة الإنسان الراقي، صناعة الإنسان الرسالي. والدور الثاني يحتاج إلى موقف اختياري من الناس.

تربية الناس، وتكميلهم، وأخذهم على مسار الرسالة الإسلامية ليُصنعوا عظماء يحتاج إلى استجابتهم لتلك التربية؛ فالموافقة التي تُؤخذ على الإسلام أو على الحكومة الإسلامية تنفع في هذا المجال كثيراً، حيث إن الناس سيستجيبون إلى التربية الإسلامية وإلى المنهج الإسلامي الذي يستهدف صناعتهم، وتخريجهم نماذج فذّة، ومجتمعاً إنسانياً راقياً، ومنارة مشعة في الأرض، عندما يكونون قد اختاروا ذلك المنهج بملء حريتهم[1].

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٨٣) بتاريخ ١٠ ذو الحجة ١٤٢٥هـ، ٢١/١/٢٠٠٥م.

الإمام الخميني قدس سره والتصويت على النظام الإسلامي

هناك ظرف عادي، وظرف ثانوي، ونحن في ظروف ثانوية، وليست ظروفاً عادية. والحكم الشرعي قد يأخذ صيغة أخرى في ظل الظرف الاستثنائي دون صورته في الظرف العادي، ونحن نقبل في هذا العصر قضايا التصويت على أصل النظام السياسي، وعلى تشخيص السلطة، ومن يكون الحاكم. فحتى لو كان الطرح هو التخيير بين الإسلام وغيره، أو كان الطرح بين فقيه وبين غير فقيه ممّن لا يصلح في نظرنا للحكم من ناحية شرعيّة فنحن نقول للانتخابات نعم.

السيد الخميني بعد أن قاد الثورة وأسقط الشاه كان حاكما من ناحية فعليَّة، واحتضنت قيادته وحاكميته قلوب الملايين، وكان يمكن له أن يفرض أي نظام سياسي على إيران، إلا أنه طرح النظام السياسي وقضية اختيار الإسلام وعدم اختياره نظاماً سياسياً للتصويت. من أين كان للسيد الإمام أن يطرح القضية للتصويت؟

كان عند السيد الإمام اطمئنان كامل بأن خيار الشعب الإيراني وفي ظل تلك الظروف الخاصة لن يعدو الإسلام، ولن يقدّم الإيرانيون على الإسلام شيئاً، وإذا اختاروا الإسلام التفوا حوله، ودافعوا عنه، وأعطوا أنفسهم له ذلك لأنه خيارهم.

اطمئنان السيد الإمام أن الشعب الإيراني لن يقدّم على

الإسلام أمراً آخر، كان خلفية من الخلفيات التي تجعله يطرح القضية للتصويت[1].

آية الله العظمى السيد السيستاني وقضية الانتخابات

سماحة السيد السيستاني اليوم يطرح قضية الانتخابات، ويدعو الشعب العراقي إليها، ويوجب على الشعب العراقي أن يخرج إلى صناديق الاقتراع للإدلاء بصوتهم للحكومة المنتخبة.

في ظروف كظروف اليوم، وفي القضية العراقية، المواقف ثلاثة:

إما التخلّي عن المسألة السياسية من قبل السيد السيستاني (حفظه الله) والحوزة العلمية، والتخلّي عن المسألة السياسية وترك الأمور تتسيّب بدرجة أكبر، وتتجه في الاتجاه الآخر المعاكس للإسلام بدرجة فاحشة أمرٌ غير جائز.

خيار آخر، القيام بالسيف، وحدوث مواجهة بين الشعب العراقي وبين أمريكا، وهذا جائز جداً بل واجب إذا لم يكن بديل لطرد العدو الكافر.

وهذا أمر موضوعي تدخل فيه الخبرة العملية، ويُدلي فيه المختصون برأيهم، ولكل جماعة أن تدرس الواقع في ضوء محصّلة معلوماتها وخبراتها، وتنتهي إلى رأي في الموضوع.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٨٢) بتاريخ ٣ ذو الحجة ١٤٢٥هـ، ٤/١/٢٠٠٥م.

ما انتهى إليه رأي السيد السيستاني (حفظه الله) والحوزة العلميَّة المباركة هو أن هناك طريقين، طريق السيف، وطريق الانتخاب، وطريق الانتخاب يُقدّم على طريق السيف حتى لو كانت مسافته أطول بشيء ما.

الانتخابات أقل خسائر، وإذا كانت الانتخابات قد تحدث فيها مغالطات، ويمكن أن يفشل الغرض من تحقيق واقع إسلامي بدرجة ما، فإن الصراع الدموي لا يسلم أيضا من المغامرة، وأنه ليس مضمون النتائج.

هناك حرص من المرجعيّة في العالم الإسلامي ومن العلماء على الحفاظ على تماسك المجتمع الإسلامي. والصراع الذي يمكن أن يجرّ إلى صراع داخلي بين المسلمين صراع مستبعد في نظر المرجعية الفقهية[1].

---

(١) قال سماحة الشيخ في خطبة الجمعة (١٨٣) ١٠ ذو الحجة ١٤٢٥هـ، ٢١/١/ ٢٠٠٥م:

«سماحة السيد آية الله العظمى السيستاني ينادي ويوجب على المسلمين أن ينتصروا لدينهم، ماذا يقول؟ يقول هناك محاولتان للانتصار للإسلام، طريقان للانتصار للإسلام، تجريد السيف، وما يُدّعى من الديمقراطية، وتحكيم صناديق الاقتراع.

نحن نختار تحكيم صناديق الاقتراع في الانتصار للإسلام، نقدّم هذا الأسلوب السلمي على أسلوب المواجهة الدموية، فهو يوجب على المسلمين العراقيين أن يخرجوا كبيرهم وصغيرهم، ومن استطاع من مرضاهم وسقماهم إلى صناديق الاقتراع نصرة للإسلام، والصوت عنده أغلى من الذهب في هذه المسألة، القول للإسلام نعم، القول للإسلاميين نعم، ترشيح انتخاب حكومة تختار الإسلام على غيره ولو جزئيا مسألة واجبة على العراقيين، ويطالبهم =

ثم إن نجاح أي حكم قائم على رضا الشعب والأمة، وقد رأينا أمير المؤمنين عليه السلام يعتذر عن قبول الحكم بعد وفاة عثمان، وقد يكون من منطلقات ذلك الامتناع هو عدم ملاءمة الظروف الموضوعية لنجاح الأطروحة الإسلامية، أمير المؤمنين عليه السلام معصوم، وقيادته ناجحة بالكامل، لكن الصف النخبوي الذي يؤمن بالإسلام وبالأطروحة الإسلامية، ويصبر على الأطروحة الإسلامية ويعطي لها كل شيء لم يكن بالدرجة الكافية.

والإسلام لا يريد حكماً شكلياً. الإسلام يريد حكماً حقيقياً، يريد أن يصنع نفوساً، يريد أن يصنع عقولاً، يريد أن يخلق واقعاً إسلامياً ولا يريد أن يحكم حكماً شكلياً فحسب[1].

تنوع القائمة الموحدة

بمَ نفسر تنوع القائمة الموحَّدة عند سماحة السيد السيستاني حتى يكون فيها الصابئ، ويكون فيها العلماني، ويكون فيها أصناف من الناس غير الإسلاميين؟

السيد السيستاني بهذا الأمر مطالبتهم بالصلاة والصوم والحج إن لم يزد على ذلك، لأن في المسألة مصير الإسلام.

فهو يوجب على المسلمين أن ينصروا دينهم عن طريق صناديق الاقتراع بدل أسلوب العنف ما أمكن. وإنه يوجب التصويت للأطروحة المرضية لله، وللأشخاص المرضيين لله».

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٨٢) بتاريخ ٣ ذو الحجة ١٤٢٥هـ، ٤/١/٢٠٠٥م.

إنه تكيف مع الظروف في حدود مقررات المصلحة الإسلامية، هناك تكيف مع الظروف في الإسلام، ولكن بحيث يكون هذا التكيف محكوماً لمقتضى المصلحة الإسلامية. وفيما اختاره سماحة السيد حرص على سلامة المجتمع ووحدته. وفي موقفه ردٌّ على مزايدات الغرب باسم الديمقراطية والتعددية لكن بما يأذن به الإسلام في ظل العنوان الثانوي[1].

الانتخابات شعار مستمر

هل شعار الانتخابات عند الإسلاميين وصوليٌ وموقّت وسيُقابل بإدارة الظهر بعد تحقيق المطلب السياسي؟ أقول: لا.

شعار الانتخابات يمكن أن يستمر عند الإسلاميين، وأنهم لا يتخلّون عن هذا الشعار، وعن قضية الانتخابات حتى لو تحقق الحكم لهم، لأنهم ليسوا الأضعف في الساحة الإسلامية وإنما هم الأقوى، وهم الأكثر وثوقاً من حصول أغلبية الأصوات. وإذا كان هذا حالهم قبل تسلّم السلطة، وقبل أن يتولوا تربية المجتمع تربية إيمانية مشعة فكيف إذا حكموا، واستطاعوا أن يسهموا إسهاما كبيرا في صياغة المجتمع صياغة إسلامية؟ إن المجتمع بعد ذلك لن يختار على الإسلام شيئاً. فلا داعي لأن يتخلى الإسلاميون

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٨٣) بتاريخ ١٠ ذو الحجة ١٤٢٥هـ، ٢١/١/٢٠٠٥م.

عن شعار الانتخابات بعد أن يتسلموا الحكم في أي بلد يقوم فيها الحكم على ما يسمى بالديمقراطية[1].

حكومة الفقيه دستورية وليست استبدادية

حكومة الفقيه، من وصفها أنها انتخابية، أنها تأتي عن طريق البيعة، واختيار الناس، ورضاهم، وهذا الانتخاب لا يكون إلا ضمن الشروط التي افترضها الإسلام في الحاكم.

وحكومة الفقيه دستورية، وليست استبدادية، حكومة الفقيه ليست من حكومة العادل المستبد، إنها من حكومة العادل الخاضع للدستور، ودستور الفقيه الإسلام الذي لا يتعداه ـ إذا كان عادلاً ـ قيد شعرة، وهي مستندة في تمشية الأمور، وإدارة شؤون الدولة إلى خبرته الشخصية منضمةً إلى خبرة أهل الخبرة من أهل الاختصاصات المختلفة[2].

موقف سماحة الشيخ من الديمقراطية

بالنسبة لعبد الله هذا المتكلّم، فالنظر ومنذ السبعينات وإلى الآن وسيبقى ـ فيما أرى ـ ثابتاً في مسألة الديمقراطية: لا نرضى الإرهاب، نرفض العنف، نقدّم الكلمة على القوّة، نختار الديمقراطية على المصادمات، نرى الديمقراطية في صالحنا، ونخاف جداً من أن تزوير الديمقراطية والاستغفال

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٨٣) بتاريخ ١٠ ذو الحجة ١٤٢٥هـ، ٢١/١/٢٠٠٥م.

(٢) المصدر السابق.

بشعار الديمقراطية والكذب على الديمقراطية ينتهي بالناس إلى العنف والمصادمة.

موقفنا مع الديمقراطية، ونتحدّى الآخرين في أن يأخذوا بالديمقراطية، وأن يصبروا على نتائجها. نعم نتحدّى كل الآخرين في القبول بنتائج ديمقراطية حقيقية في الشارع البحريني وفي أي شارع إسلامي آخر، والشارع في بلدان المسلمين اليوم إسلامي.

نعم، نقبل بالديمقراطية، ونبقى عليها، لا لأننا نقدسها، وإنما لأننا نجد أنفسنا دائماً في ربح من خلال إعمال الديمقراطية. فنحن مع الخيار الديمقراطي، ونتحدّى الآخرين في القبول به، والصدق معه، والصبر على نتائجه[1].

انتظار المهدوية وانتظار الديمقراطية

لقد ضاقت الأرض بما رحبت على بلايين المستضعفين في هذا العالم، وغامت واسودّت أجواء الحياة في نَاظِرَيَ النّاس، ذلك أن الأرض صارت محكومة لقيم المادة بعيداً عن قيم الروح والإيمان وخطّ الله ﷻ، وحلّت عبادةُ الطاغوت بالحديد والنار، والترغيب والترهيب، والتجويع والاتخام محلَّ عبادة الله ﷻ في المساحة الأكبر من أوضاع الحياة وعند شرائح واسعة منتشرة في المجتمعات.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٢٩٦) بتاريخ ٢٦ رجب ١٤٢٨هـ، ١٠/٨/٢٠٠٧م.

وغياب القيم المعنوية، وحكم الطاغوت من نتيجته الحتمية التي لا بد منها أن تتأزم أوضاع الحياة وتثقل على النفوس وتتجاوز بسوئها قدرة التحمّل عند غالبية النّاس.

والإنسانية اليوم في غالب أبنائها تحت الضغط الهائل غير المُحتَمل الذي تواجههم به أوضاع الحياة بين يأس قاتل، وتمرّد مقموع، وتطلع موهوم.

إنه التطلّع إلى الخلاص على يد الديمقراطية الغربية المزعومة المكذوبة في منشئها، المهزوزة الفاشلة في نفسها.

الديمقراطية التي لم تُخرِّج إلا حكومات طاغوتية قاسية تعيث في العالم فساداً، وتجري على يدها أنهارٌ من دماء الشعوب، وتسرق لقمة الجياع من سكّان الأرض لشهوة جمع المال وتكديسه، وتتلذذ ببكاء الثكالى، وتضوّر المحرومين، إنما هي ديمقراطية زائفة كاذبة.

والديمقراطية التي لا تقوم على المنظومة الفكرية والمبادئ الخلقية الإلهية وحقّ الله ﷻ ورقابته لا يمكن أن تنتج العدل وتقيم الحق، وتنتصر لإنسانية الإنسان وتعرف له كرامته في مجال السياسة أو غيرها؛ ومتى كان للشوك أن ينبت العنب، ومتى كان لمن انفصل عن الله سبحانه أن يتنزّل على النّاس بالرحمة؟!

الديمقراطية عاجزة عن أن تصنع ضميراً طاهراً، وتجذّر في نفس الإنسان قيماً عالية، وتبعث روح عدل وإحسان وتضحية وإيثار ورحمة ورأفة، وكل ذلك تحتاجه حياة العدل

والإخاء والمودة والاستقرار. وبدونه لا تستقيم الحياة على الخط.

الديمقراطية حتّى في منشئها إنما هي احتراب مال الشركات التجارية العملاقة، ومكر وخداع غير شريف، ووسائل كثيرة قذرة على السلطة، ويدخل في ذلك الكذب والدّس والتآمر والتشهير بظلم، والدعاوى العريضة الفارغة والمهاترات، وبيع الشعوب، وإثارة الحروب، وتقوم على الهيمنة الإعلامية على أكبر قدر ممكن من الرأي العام، لا على التنافس العلمي والعملي بين البرامج السياسية المتواجهة. هذا شأن الديمقراطية، وأمّا عن النظام الفردي الأرضي فهو أسقط من ساقط، وأفظع من فظيع.

والديمقراطية وهي هاجرة[1] محرقة يلجأ إليها الناس من نار الدكتاتورية الفردية الطاغية.

عالَمُنا في ظلّ النظام الفردي وكذلك ما يُدّعى أنه ديمقراطي كذباً، عالمان: عالَمٌ من المستكبرين الطغاة المتبذخين، وعالَمٌ من المستضعفين المنهوكين الجوعى المسحوقين، وكل منهما مضغوط ومسحوق لمشاعر الصراع، ومستعبد لأوضاعه، ولا يعرف قيمة الإنسانية التي ينتمي إليها، ولا يعرف طعم لذةٍ حقيقية في الحياة التي يعيشها.

---

(١) الهَاجِرَةُ: نصفُ النهار عند اشتداد الحرّ.

وقلّة من النّاس هي التي تعرف هدفها ومنهجها وقيمتها وتشعر بلذة دورها الرسالي، وخطّها الذي آمنت به مصيبةً للواقع، منشدّة إلى الحقّ الجلي، وإن كان ذلك وسط متاعب جمّة ومعاناة مستمرة مما تلقي به الأوضاع المزرية المرهقة لحياة صنعها الاستكبار في الأرض بعيداً عن النهج الإلهي الحق من ظلال سوداء ثقيلة يطال عذابُها كلَّ إنسان.

والتطلع إلى الخلاص تطلّع مشروع مبرّر تُدفع إليه البلايين من الناس دفعا قويّاً بضغط الظروف المأساوية التي يولدها الانحراف والظلم على المستوى الإنساني والمعيشي على حدّ سواء.

أما التطلع إلى الديمقراطية منقذاً، فهو من تمسّك الغريق بالطحلب، والزبد الذي يذهب جفاء.

وإذا كان التطلّع هو تطلّعٌ إلى إنقاذ الحق من الباطل، والعدل من الظلم، والرحمة من القسوة، والإحسان من العدوان، والصدق من الكذب، فهذا التطلّع في روحه ولبّه وعمقه وحقيقته إنما هو تطلّع ليوم الظهور؛ يوم الإسلام الصادق، والإمام الموعود عليه السلام.

فتطلّع البلايين للخلاص الذي إنما يدفع إليه حسب الواقع بُعد المسيرة البشرية عن الله، والانحدار عن خطّ دين الحق، وإقصاء القيادة الربانية الرشيدة والتي يمثّل المعصوم عليه السلام النموذج الأعلى لها عن موقع الصدارة، إنما هو تطلّع إلى الإسلام المضيّع، وقيادته المغيّبة.

ولو وصل الإسلام بصورته الحقيقية إلى البلايين، وتعرفت على معالم القيادة الإلهية وواقعها، لكان انتظار الناس على مستوى العالم وبصورة صريحة وبصوت مرتفع للإسلام لا للديمقراطية، وللقائم عجل الله فرجه لا لزعامات الأرض المصطنعة، والتي لا تلتقيه على خطّه الصاعد القويم.

ولهذا لا تجد جاهلية القرن عدوّاً لها كالإسلام، ولا تجد أثقل عليها من الحديث عن القائم عليه السلام ومقتضياته، وهي لا تبذل جهوداً مضادة ـ على جميع مستوياتها وفي العالم كلّه ـ كما تبذل في مواجهة الإسلام وتشويهه والكذب عليه، ومحاولة تزييفه ومسخه، ومزجه بالرديء الساقط، وإسقاطِ رموزه وقياداته، والتقوّل عليها وتغييبها، ولا تترك شيئاً في الوسع إلا وبذلته للحيلولة بين الصورة الحقيقية للإسلام وقياداته، وبين جماهير الأمة المسلمة فضلاً عن جماهير العالم.

وهنا تكبر مسؤولية الرساليين فيما يتعلق بتبليغ الإسلام ونشره وتوصيله وعرضه على العقول والأفئدة، بما هو عليه من حُسْنٍ وصدق وأصالة وإخلاص وكفاءة وشمولية وعلم وروعة وتخطيط ودقة منهجة ورحمة ورأفة[1].

خلاصة الكلام في مسألة الديمقراطية

الدين رؤية كونية ومنهجة وتنظيم عام لكل مساحة

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٣٣٨) بتاريخ ١٣ شعبان ١٤٢٩هـ، ١٥/٨/٢٠٠٨م.

الحياة، وله طَرْحُهُ الخاصُّ في المسألة السياسية الذي يختلف عن الدكتاتورية وعن الديمقراطية بمفهومها الغربي.

من الديمقراطية أن يُترك للشعوب أن تختار نمط حياتها ونظامها السياسي وإن اختارت الإسلام أو غيره، الأمر الذي تتنكر له ديمقراطية أمريكا وأوروبا، ولا يمكن أن تلتزم به عملياً، وتقف في وجهه بكل قوة وصرامة وعنف وظلم واستبداد وعنجهية إذا جاء خيار الشعوب الإسلامية خياراً إسلامياً.

ليس أمام الشعوب الإسلامية من ناحية عملية إلا أن ترحب بديمقراطية تعطيها الخيار الحر، وعليها من جهة أخرى أن تستجيب لأمر ربها باختيار الإسلام لا غيره، وأن لا تقبل الديمقراطية المشروطة بالنمط الغربي، وبقيمومة أمريكية أو أوربية، فبحسب الواقع أفضل طريق متاح للتغيير الآن هو الديمقراطية، وبحسب الواجب الشرعي لا خيار لمسلم في أن يختار على الإسلام شيئاً آخر.

والديمقراطية شعار تستعمله أمريكا وأوربا غطاءً لإقامة واقع حضاري بديل عن الإسلام في بلاد المسلمين.

والوعي الشبابي سلاح فاعل في إبطال اللعبة، وإفشال المخطط الأجنبي الماكر. والوعي لا يأتي من فراغ، ولا من حالة حماس مجرَّدة، ولا التحاق نشط بالنشاط الإسلامي يفتقد الرؤية المركّزة والدرجة الكافية من الدراسة. الوعي يحتاج إلى فهم جيد لقيمة الإسلام وضرورته، وأصالته،

وقدرته على الإنقاذ والتحرير وتوفير متطلبات الحياة العادلة الهانئة السعيدة، والتزامه بتحقيق كرامة الإنسان وحفظ مصلحته المستقبلية.

وهذا يحتاج إلى قراءة وإمعان ودرس وتدارس وحوارات ومطارحات، ويحتاج إلى معاهد وكليات وحوزات كفوءة، وذات تخصصات كافية. وعلى العلماء والمؤسسات الإسلامية مسؤولية ثقيلة بالغة في هذا المجال كله[1].

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٩٩) بتاريخ ٤ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ، ١٣/ ٥/ ٢٠٠٥م.

التّكليف الشّرعيّ بين التّشخيص والامتثال

المقدّمة

التّكليف الشرعيّ شعار مبدئيّ واع يفرضه الانتماء لقيم الإسلام المحمديّ الأصيل، وهو يرتكز على رؤية شرعيّة من حيث التّشخيص والامتثال، منطلقها العبودية الخالصة لله عزّ وجلّ، لا تغفل الواقعيّة والموضوعيّة لحسابات النّصر والهزيمة، إلا أنّ عمادها هو تحقيق مرضاة الله ﷻ في الدّعوة إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة.

فالقيام والقعود والحركة والسكون هي مفردات لا بدّ لها من منظومة فكريّة تحدّد لها المسار من حيث المبدأ والمنتهى، وتوضّح لها الرّؤية على مستوى المنطلقات والآليات والأهداف التي تنسجم مع تلك المنظومة الفكريّة وتلتقي مع محتواها المقدّس، وقد أشار أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إلى هذه الحقيقة حيث قال: «**ما من حركة إلا وأنت محتاج فيها إلى معرفة**»[1].

---

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٧٤، ص٢٦٧.

والنّصر في المفهوم الإلهيّ هو عبارة عن تحقيق عبوديّة الله ﷻ وتحصيل مرضاته، ولا يتأتّى ذلك إلا من خلال لزوم أوامره وطاعته عزّ وجلّ.

وبهذا الميزان للنّصر لا تعود حقيقته إلى حجم ومقدار العمل وحجم الصّعاب أو حجم التّضحيات، بل تتمحور حول الهدف من القيام والنيّة والإخلاص والتّقوى في مسار رضا الله ﷻ وطاعته وعبادته.

هذه الفلسفة الإلهيّة للنّصر هي في الواقع تشكّل جوهر القضية لأيّ حركة ـ فرديّة أو جماهيريّة ـ فالعمل مهما كان صغيراً والتّضحيات مهما كانت قليلة في المنظور الماديّ، إلا أنّها تشكّل نصراً ولها قيمة كبرى في المفهوم الإلهيّ إن كان منطلقها تحقيق الرّضا الإلهيّ، حتّى لو أدّى ذلك العمل بحسب الظّاهر إلى الخسارة أو الهزيمة أو الفشل وعدم تحقيق النّصر الظاهريّ.

وبالمقابل فإنّ كلّ عمل أو فعل مهما كان كبيراً وجليلاً بحسب الظاهر وإن صنّف أيضاً بخانة الفوز والنّصر وتحقيق الأهداف الكبرى في الإطار الماديّ لا يعدّ كذلك إن لم يكن منطلقه الله ﷻ ولم يحز على كسب الرّضا الإلهيّ، بل لا بدّ من تصنيف ذلك في خانة الهزائم والإخفاقات.

وهنا كلمات توضّح هذه المسألة بشكل جليّ للسيّد قطب في تفسيره (في ظلال القرآن) قال: «**والنّاس كذلك يقصرون معنى النّصر على صور معيّنة معهودة لهم، قريبة الرؤية لأعينهم، ولكنّ صور النّصر شتّى، وقد يتلبّس بعضها بصور الهزيمة عند النّظرة القصيرة، إبراهيم** عليه السلام وهو يلقى في النار، فلا يرجع عن عقيدته،

ولا عن الدعوة إليها، أكان في موقف نصر أم في موقف هزيمة؟؟ ما من شك في منطق العقيدة أنه كان في قمة النصر وهو يلقى في النار... إلى أن قال: والحسين عليه السلام وهو يستشهد في تلك الصورة العظيمة من جانب، والمفجعة من جانب، أكان هذا نصراً أم هزيمة، في الصورة الظاهرة وبالمقياس الصغير كانت هزيمة، فأمّا في الحقيقة الخالصة وبالمقياس الكبير فقد كانت نصراً»[1].

أداء التّكليف الشرعي ـ بحدّ ذاته ـ هو إنجاز في المنظور الإلهيّ، بغض النّظر عن المكاسب التي تحقّقت أو التي لم تتحقّق. فمن تحرّك لأجل دينه وعقيدته ومن منطلق الحكم الشرعيّ لا يعتبر خاسراً حتّى لو مزّق إرباً إرباً. فلا بدّ من تحديد الأهداف والمنطلقات والدّوافع، لتكون مقياساً وميزاناً لتحديد الرّبح والخسارة.

يقول سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) مرسّخاً هذه الرؤية الدينيّة الواقعيّة في ضمن كلماته عن الحراك الشعبيّ في البحرين:

«الشعب هنا مؤمنٌ بأنَّ تكليفه أنْ يواصل حراكه لتقويم الوضع وتصحيح الواقع ورفع الظلم وإقرار العدل وأنَّ ما يعطيه من تضحياتٍ [في] هذا السبيل إنَّما هو برضا الله سبحانه وممَّا يقرِّبُ إليه.

وهذه الرؤية الدينيّة الواقعيّة تجعله أشدّ عناداً في طريق التّغيير وتمسّكاً بضرورة الإصلاح والبذل في سبيله وهو عنادٌ

---

(١) في ظلال القرآن ج٥ ص٣٠٨٦.

في الحقّ وليس من عناد الباطل في شيء، هذا العناد بطبيعته يفشل سحر آلة الفتك التي يعتمدها عناد الباطل فمع توفّره واستمراره لا تأتي النتيجة إلّا في صالح ما يستهدفه من تغييرٍ لمصلحة الحقّ وإصلاحٍ من أجل رقيّ الوطن وسلامة المجتمع وخير كلّ مواطن.

إنَّ الشعب لنْ يرجع بإذن الله من مشوار حراكه بما هو دون حقّه وعزّته وحرّيته وكرامته؛ فعلى هذا الطّريق حتّى تحقيق النّصر.

ولا بُد لنا ـ ونحن نتسائل عن مآل التحرّك السياسيّ الشعبيّ السلميّ العادل وما سيفضي إليه ـ من أنْ نستذكر الحقيقة الإيمانيَّة الثّابتة التي يمثّلها قوله سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾[1]، وقوله عزَّ من قائل: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[2]، فليكن كلُّ البذل من أجل الله عزَّ وجلّ وكلُّ التضحية في سبيله وكلُّ الخطى في هدى دينه وكلُّ حركةٍ وسكون أخذاً بحكم شريعته وهذا هو الانتصار لله سبحانه وعندئذٍ يتنزَّلُ على من أخلص له نصره والله لا يخلف الميعاد»[3].

وفي ما يلي أتعرّض لمفهوم التّكليف الشرعيّ مستهدياً في ذلك

---

(١) سورة محَمَّد: الآية ٧.

(٢) سورة آل عِمرَان: ١٢٦.

(٣) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٥٢٢) بتاريخ ١١ ذو القعدة ١٤٣٣هـ، ٢٨/٩/٢٠١٢م.

بفكر علَم من الأعلام وعالِم من العلماء اقترن علمه بعمله فأضحت كلماته منهجاً ومدرسة ومعيناً عذباً يروي القلوب والعقول.

خطاب العواطف وخطاب العقول

يتحدث سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) عن مفهوم التّكليف الشرعيّ في إطار الرؤية الشرعيّة المنبثقة من العبوديّة لله سبحانه وتعالى والإخلاص له ﷻ، ومن منطلق أهميّة وضرورة هذا المفهوم الدينيّ نرى سماحته يتعاطى معه بجنبة فكريّة تأصيليّة تخاطب العقول بأسلوب علميّ من خلال إلقاء الضوء على بعض كلمات الإمام الخمينيّ العظيم الذي استطاع من خلال بلورته لهذا المفهوم أن يأسّس دولة إسلاميّة يحترمها الصّديق ويهابها العدوّ، ولا ينحصر خطابه في إنشاءٍ يستثير العواطف ويحرّك الشّعور.

يقول سماحته:

«ليس من اتّجاه هذا الحديث أن يخاطب العواطف، وإنّما يلتفت إلى مفهوم شائع، تتمسك به أوساطنا الإسلاميّة كثيراً، مهتديةً في ذلك بالسيّد الإمام الخمينيّ (أعلى الله مقامه)، ومفهومٌ يشيع في الأوساط الإسلاميّة ويكون محل الاحتجاج، ويضع شبابنا وشابّاتنا على الطّريق، فلا بدّ من وقفة تأمّلٍ ودراسةٍ لهذا المفهوم لكي يكون أكثر تبلوراً وإذا قاد فإنّما يقود على بصيرة، هذا المفهوم هو مفهوم (التّكليف الشرعيّ)»[1].

---

(١) كلمة في تأبين السيد الإمام الخميني ـ مسجد مؤمن بالمنامة ـ ٢٥ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ، ٢/٦/٢٠٠٥م.

التّكليف الشرعيّ شعار مبدئيّ ثابت

التّكليف الشرعيّ شعار ثابت له جنبة عمليّة تبتني على أسس دينيّة، تلحظ الظّروف الخارجيّة وتوازن بينها، إلا أنّها في خاتمة المطاف تتعبد بما يقرّه الشّرع المقدّس ويفرضه التّكليف.

يقول سماحته:

«الشّعار الذي رفعه السيّد الإمام، شعار (التّكليف الشرعيّ) ليس شعاراً انفعالياً، هو شعارٌ مبدئيّ واعٍ ناضج، يقول لنا لا تتحرّكوا إلا عن تكليف، ولا تقفوا إلا عن تكليف، إذا وقفتم فإنّما تقفون بعد أن تشخّصوا أنّ تكليفكم في الوقوف، وإذا تحركتم فإنّما تتحرّكون بعد أن تشخّصوا أنّ التّكليف في الحركة.

ليس أن يدخل في نفسي أن أتحرّك ثمّ أقول تكليفي، لا، التّكليف لا يثبت بنوعٍ من الارتجال، هذا الشّعار ليس شعاراً انفعاليّاً ولا ارتجاليّاً، شعار شرعيّ مركّز، ويقوم على الوعي، وعلى الإيمان والعبوديّة الخالصة لله تبارك وتعالى».

ويقول سماحته:

«أقرأ كلماتٍ من كلمات السيّد الإمام التي نستطيع من خلالها ـ وهي بعض كلماتٍ له في هذا المضمار ـ أن نقول بأنّ التّكليف الشرعيّ شعارٌ ثابتٌ عند السيّد الإمام (أعلى الله مقامه): (نحن مكلّفون نعمل بتكليفنا، فإذا عملنا بتكليفنا فقد انتصرنا، سواءٌ أثمرت الثورة أم لم تثمر)».

التّخطيط للنّصر أمر واجب

يقول سماحته:

«ربما احتاجت هذه الكلمة إلى شيءٍ من إلقاء الضوء، أن يخطّط الإمام وغيره من القادة الإسلاميين، وأن يخطط الإمام المعصوم عليه السلام قبلهم للنّصر أمرٌ واجب، وأن يستهدف الثّمرة، وأن يكون عنده اطمئنانٌ أو احتمالٌ عقلائيٌ بترتّب الثّمرة على الخطّة أمرٌ لا بدّ منه، أمّا أن يضمن ترتّب الثّمرة وتحقّق النّتيجة فأمرٌ لا يدخل في المسؤوليّة.

كلمة الإمام لا تتّجه بنا أن نتحرّك من غير وعي بالمقدّمات والنّتائج، ومن غير أن نقدّر أن الثمرة المطلوبة ستترتّب على تحرّكنا».

ويقول:

«يجب أن نلتفت بأنّ هذا الشّعار لا يلغي الحسابات الموضوعيّة للنّصر والهزيمة، ماذا تقول في حركة تسبّب الهزيمة للإسلام، هل تكون من التّكليف؟ ماذا تقول في حركة تستنزف أكثر ممّا تعطي من نتائج، هل تكون من التّكليف؟ ماذا تقول في وقوف يذلّ الإسلام، ويتمدّد من خلاله سلطان الكفر، وتتفسّخ السّاحة وتنهار، ويتقوّض الإسلام، أهو من التّكليف؟

الإمام الحسين عليه السلام لم يتحرّك حركة مفصولة عن حسابات النّصر والهزيمة، وبعيداً عن البحث عن كلّ الخيارات الممكنة، حركة الإمام الحسين عليه السلام شخّصت

التّكليف، وأنّه في المواجهة، وأن لا وقت لتأجيل المواجهة، وأنّ المواجهة إن لم تكن معطاءة بشكل عاجل وعلى المستوى المنظور فستكون معطاءة بغزارة بعده».

تشخيص التّكليف على المستوى الشّخصيّ

لكلّ تكليف تشخيص، وتشخيص التّكليف الفعليّ الشخصيّ لأيّ مكلّف يدور مدار تحقّق شروط التّكليف في الخارج، والمكلّف هو الذي يشخّص.

يقول سماحته:

«أنت مخاطبٌ بالصّلاة، مرةً من قيام، ومرةً من جلوس، وأخرى من اضطجاع، ورابعة من استلقاء. أنت مكلّفٌ بالصّوم والصّوم ووجوب الصّوم والتّكليف بالصّوم له شروطه. مكلّفٌ بالحجّ والحجّ مشروطٌ بالاستطاعة.

عليك أن تشّخص أنّك مكلّفٌ بأيّ درجةٍ من الصّلاة، لا بدّ أن تقف عند ذاتك، عند صحّتك، عند إمكاناتك لتشّخص أنّك مخاطبٌ بالصّلاة من قيام أو بالصّلاة من غيره، وليس لك أن تنطلق مع التّكليف بلا تشخيص، ليس لك أن تختار أيّ صلاةٍ من هذه الصّلوات ـ الصلاة من قيام أو من غيرها ـ، إذا صليت الصّلاة من قيام فتصليها وأنت واجدٌ لشرطها، وتنتقل إلى صلاةٍ أخرى بعد أن تشّخص أنّك من المخاطبين بها.

الصّوم مشروطٌ بالصّحة، مشروطٌ بألا يُحدث لك مرضاً، ألا يزيد في مرضك، ألا يبطئ برأك ـ شفاءك ـ، من

يشّخص لك تكليفك؟ أنت تشّخص لك تكليفك. قد تستعين بالطّبيب في تشخيص التّكليف، ولكنّ الأمر يدور في الأخير إلى اطمئنانك، وأنك هل تملك الاطمئنان بالقدرة أو لا تملك الاطمئنان بالقدرة، فحيث تخاف من الصّوم خوفاً عقلائياً يرتفع تكليف الصّوم عنك.

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تكليفان ثابتان

كل هذه التّكاليف ثابتة في منطقة تسمّى منطقة التّشريع الكليّ.

أمّا على مستوى التّكليف الفعليّ، التّكليف الفعليّ دائماً يدور مدار تحقّق شروط التّكليف في الخارج، والمكلّف هو الذي يشّخص، فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر له شروط، وعليك أن تشّخص أنّ الموقف هو موقف أمر بمعروف من درجةٍ معيّنة أو هو موقف أمرٍ بمعروف من درجةٍ أخرى ثانويّة، وكذلك هو النهي.

هذا كلامٌ من درجةٍ معيّنة في تشخيص التّكليف».

تشخيص التّكليف في الساحة السياسية

السّاحة السّياسيّة العامة التي تبتني على معطيات متغيّرة معقّدة لا بدّ لها من جهة وآليّة محدّدة وواضحة للتّشخيص، فالشأن العامّ السياسيّ ليس من سنخ الشأن الشخصيّ للمكلّف.

يقول سماحته:

«تشخيص التّكليف في السّاحة الاجتماعيّة والسياسيّة

والأمنيّة العامّة المعقّدة... في صلاتي أنا أشخّص، في صومي أنا أشخّص، في حجّي أنا أشخّص، أنّي مستطيع من ناحية الصّحة أو غير مستطيع، قد أحتاج إلى خبرة في تشخيص أنّي مستطيعٌ من ناحيةٍ ماليّة أو غير مستطيعٍ من ناحيةٍ ماليّة، فأسأل الحجّاج عن نفقاتهم وإلى ما ذلك.

فيما يرتبط بالعمل السياسيّ، بالعمليّة الاجتماعيّة الواسعة، فيما يرتبط بالبعد الأمنيّ للشّعب، وهذه ساحات معقّدة كلّ التّعقيد، لمن يرجع التّشخيص؟

لا بدّ من تشخيصٍ للتّكليف، وجدتم في كلمات السيّد الإمام تركيزاً على التّكليف وتركيزاً على تشخيص التّكليف، لا تكليف بلا تشخيص، فلا بدّ من تشخيص».

من يشخّص التّكليف في الشأن السياسيّ العامّ؟

الشأن السياسيّ العام واقع يشوبه التّعقيد وتحفّه المتغيّرات، فلا بدّ له من تشخيص لحظيّ شموليّ يرتكز على فهم صحيح وعميق بالأسس الدينيّة والمرتكزات الشرعيّة.

يقول سماحته:

«من الذي يشخّص في السّاحة السياسيّة، وفيما يرتبط بالتّضحيات، وبالنتائج الكبرى السلبيّة أو الإيجابيّة التي قد تواجه الشعوب؟

إذا قلنا أنّ كلّ فرد يشخّص، فسينتج عندنا في الشعب

المليون مليون خطّة، مليون رأي، مليون توجّه، مليون حركة، قد تكون في تصادمٍ بين بعضها البعض.

فلابد أن يكون التّشخيص في المسألة السياسيّة، في المسألة الأمنيّة، في المسألة الاجتماعية لجهة معيّنة لها شروطها».

شروط التّشخيص في الشّأن السّياسيّ العامّ

يذكر سماحته شرطين رئيسين من شروط تشخيص التّكليف في الشّأن السّياسيّ العامّ.

يقول سماحته:

«الإيمان: الإيمان القويّ، ما دور الإيمان القويّ في التّشخيص؟

أنا أدّعي بأن للإيمان القوي دوراً في التّشخيص، هذا الدور يتمثّل في الموضوعيّة، يجعل التّشخيص موضوعيّاً، نزيهاً، بعيداً عن الهوى، بعيداً عن الانفعالات، بعيداً عن الحبّ، بعيداً عن البغض، بعيداً ما أمكن عن مسألة الشّجاعة عن مسألة الجبن. أن يكون مع الإيمان القويّ مستوى نفسي عالٍ لا يصل إلى حد التّهور.

النّفس الهشّة تعطي تشخيصاً على خطّها. النّفس المتهوّرة أيضاً تسرع بالنّفس إلى تصوّرات من جنسها.

مستوى نفس عالٍ مع تمتّع بالانضباط.

الخبرة: خبرة شخصيّة، ومع الاستعانة بخبرات

الآخرين. ولماذا أجمع بين الخبرة الشخصيّة وبين خبرات الآخرين؟

الخبرة الشخصيّة لأنّ الشخص إذا كان محض مقلِد (بالكسر)، أي إذا كان مجرد مقلد في المسألة السياسيّة وفي مسألة التّشخيص فما دوره في التّشخيص؟

التّشخيص عمل خبرويّ وعمل فنيّ وعمل عقليّ، إذا كنت لا أملك من أدواته شيئاً فعليّ أن أبتعد عن مسألة التّشخيص ـ التشخيص يكون لغيري ليس لي ـ .

وإن اعتمد قائدٌ في كل مواقفه على خبرة الآخرين وعلى تشخيص الآخرين، الآخرون قد يشرّقون به وقد يغرّبون.

ثم لا بدّ من خبرة الآخرين التي قد تكشف عن خطأ أدت إليه الخبرة الشّخصية، عن نقص، عن ثغرة، عن خلل، ما كان يمكن أن يكتشف لولا ضم خبرة الآخرين إلى الخبرة الشخصية».

محوريّة التّكليف الشرعيّ والثّبات على الموقف

بعد مرحلة تشخيص التّكليف الشرعيّ في الشّأن العامّ لا بد من أن تتجّلى محوريّة التّكليف في وجدان القائد والرعيّة بكلّ صدق في القول والعمل على أساس الإخلاص في النيّة لله ﷻ.

يقول سماحته:

«بعد أن يتشخّص التكّليف، وأنّ التّكليف في الحرب،

أو أنّ التّكليف في السّلم، في الصّلح، في الجهاد العسكريّ، في الجهاد الثقافيّ، في المنازلة السياسيّة، في هذا اللون من الخطاب، بعد أن يتشخّص التّكليف تكون كل المحوريّة للتّكليف.

محوريّة تتركّز وتتجلى في حياة القائد قبل غيره، ولا قائد للحقّ من لم تحكمه محوريّة التّكليف.

والقائد الحقّ بالكامل والمضمون هو الذي ليس في نفسه محوريّة أخرى غير محوريّة التّكليف، وأنّ محوريّة التّكليف في نفسه تامّة وخالصة من كلّ شائبة، القائد من هذا النوع هو المعصوم عليه السلام، ثم تأتي المستويات من القيادة تقترب من هذا النموذج بدرجةٍ وأخرى، وقد وجدت الأمة في السيد الإمام مستوى من القيادة أقرب ما يكون في كثير من مواقفه إلى عقلية المعصوم ونفسية المعصوم وصلابة المعصوم، والمتتبع للسيرة الجهادية للسيد الإمام قدس سره يقوده البحث إلى أنّ الرجل كانت تمتلك محوريّة التّكليف في نفسه وزناً عالياً.

هذه المحورية أقول عنها بأنّها شرط أساس في القيادة الإسلاميّة، وأنّه ـ إذا ثبت في نفسه، وحسب الموازين الشرعيّة، والنّظر العلميّ الدّقيق، والخبرة المجتمعة ممّا عنده وممّا عند الآخرين ـ إذا ثبت أنّ التكليف في السّكون سكن ولم تحرّكه عواصف الرّأي العام، وإذا ثبت أنّ التّكليف في الحركة تحرّك ولم توقفه القوى الأخرى.

ولقد وجدنا في المعصومين عليهم السلام من يقف على خلاف

هوى الأحبّة في الحركة، ومن يتحرّك على خلاف رأي النّاصحين بالوقوف والسّكون، الحسن عليه السلام صالح ونداءاتٌ من حوله من أصحابه تقول له بالاستمرار في المواجهة، والحسين عليه السلام تحرّك والنّاصحون بالتّوقف والتّراجع يقدّمون كلماتهم في لغة من الإخلاص والإشفاق عليه «صلوات الله وسلامه عليه».

ما هو المؤهّل لهذه المحوريّة؟ ما هو مؤهّل النّفس لأن تتمحور خالصاً حول التّكليف بعد التّشخيص، وألا تنظر إلى غير الله سبحانه وتعالى في حركتها وسكونها؟

إذا كانت الرؤية التوحيديّة في نفس القائد غائمة، وكان الإيمان باليوم الآخر في نفسه غير مستقرّ وغير متمكّن، بأيّ دافع سيتحرّك؟

إذا كان التّكليف يقول له بالحركة، ومصلحته حسب تشخيصه في التوقف، كيف يتحرك إذا لم يعمر الإيمان قلبه، ولم تضئ العقيدة كل أقطار نفسه؟ لا يمكن.

مع الإيمان والتّقوى نفسيةٌ متربية، نفسيةٌ شجاعة وغير متهورة، نفسيةٌ معتدلة. حين يتوافر عامل الإيمان والتّقوى وعامل الاعتدال النفسيّ، لأن الإيمان قد يضع الإنسان نفسه عملياً على طريق الإيمان فتصعد نفسه في مستواها إلى مستوى عمق الفكرة في فكره، وقد لا يربّي النّفس على مسار الفكرة فيظَل الفكر محلقاً والنّفس في مستواها المتدنّي.

الإيمان المتغلّف في النّفس، الإيمان الذي تحوّل إلى مشاعر، الإيمان الذي كانت له قيادة الحركة في الشخصيّة طوال سنين، هذا إيمان يستبطن عنصر الاعتدال في النّفس والقوة في النّفس، أمّا ما دونه من إيمان فهو لا يرتفع إلى هذه المنـزلة».

الطائفيّة البغيضة

حينما عادت الحياة إلى جسد الأمّة الإسلاميّة ـ بعد انتهاء مرحلة الموت السريريّ ـ من خلال الانتصار التاريخيّ للشعب الإيرانيّ المسلم بقيادة الإمام الخميني، راهن المعسكران الغربيّ والشرقيّ على انطفاء وهج الحماس الثوريّ المنبعث من منطلقاته الدينيّة الّتي تستوعب كافّة المسلمين، بل كافّة الأحرار، في مدّة أشهرٍ قلائل، وإلّا فسنواتٍ مثلها، وبعد أن خاب ظنّهم وبان فشلهم، تحرّكوا بأدوارٍ متعدّدةٍ في ظلّ هدفٍ موحّدٍ، ألا وهو القضاء على الإسلام المحمّديّ الأصيل؛ لضمان استقرار الغدّة السرطانيّة «الكيان الصهيونيّ الغاصب»، ومن تلك الأدوار:

ـ بدؤوا في إثارة الأقلّيّات المختلفة في الجمهوريّة الإسلاميّة الإيرانيّة، مستغلّين ما أسموه مرحلة الفوضى الّتي تمرّ بها الثورة.

ـ دعم المجموعات الإيرانيّة المعارضة، من قبيل فلول الشاه المقبور وبعض التنظيمات الّتي حملت السلاح لمحاربة الثورة كمنافقي خلقٍ.

ـ الحصار الاقتصاديّ والسياسيّ الّذي تتزعّمه أمريكا بمعيّة الدول الأوروبّيّة.

ـ الحرب العسكريّة المفروضة الّتي شنّها المقبور صدّام حسين.

وبعد أن تبيّن عدم جدوائيّة هذه الأمور، لجؤوا إلى سلاح الفتنة الطائفيّة لمحاصرة المدّ الثوريّ الإسلاميّ، ومنع تأثيره ـ كما يزعمون ـ من الوصول للمناطق السنّيّة في البلاد الإسلاميّة، عبر تأطيره بإطارٍ شيعيٍّ.

حيث إنّ انتشار المدّ الثوريّ الإسلاميّ يشكّل خطراً على الوجود الصهيوأمريكيّ في المنطقة؛ باعتبار أنّ ركيزته الأساس هي الوحدة الإسلاميّة الباعثة للصحوة، ممّا يستدعي توجّه أنظار كافّة المسلمين إلى العدوّ المشترك الّذي اغتال الأمين العامّ لحزب الله، السيّد عباس الموسويّ، ودمّر الضاحية ـ وهي معقل حزب الله ـ في لبنان الجريح، كما اغتال مؤسّس حركة حماس الشيخ أحمد ياسين، ودمّر قطاع غزّة ـ وهو معقل حركة حماس ـ في فلسطين المغتصبة.

فقذائف إسرائيل ـ الأمريكيّة الصنع ـ لم تفرّق بين مسلم سنّيٍّ ومسلم شيعيٍّ، فدم المسلم السنّيّ امتزج بدم أخيه المسلم الشيعيّ في بحر الشهادة والذود عن الإسلام العزيز والحفاظ على المقدّسات، وبهذا الدم سيتحقق النصر الآتي بإذن الله تعالى، وما يهوّن الخطب هو وجود رجالاتٍ من الطائفتين الكريمتين ـ السنّيّة والشيعيّة ـ واجهوا هذه المؤامرة بوعيهم الإسلاميّ، وإخلاصهم وحرصهم على دين الله ﷻ، وإعلاء كلمة: «لا إله إلا الله، محمّدٌ رسول الله»، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

ـ الشيخ سليم البشريّ، وهو شيخ الأزهر في وقته، الّذي قال

في رسالةٍ وجّهها للسيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ: «العمل بمذهبهم ـ أي مذهب الشيعة الاثني عشريّة ـ يجزئ المكلّفين، ويبرئ ذممهم، كالعمل بأحد المذاهب الأربعة بلا ريبٍ»[1].

ـ الشيخ حسن البنا، رائد الحركة الإسلاميّة المعاصرة، وواحدٌ من الروّاد الّذين عاشوا فكرة التقريب بين الشيعة والسنّة، فكان من المساهمين في أعمال التقريب بين المذاهب.

ـ الشيخ عبد الحليم سليم، شيخ الأزهر، والمرجع الأعلى للإفتاء وقتها.

ـ الشيخ محمود شلتوت، وهو شيخ الأزهر في وقته، الّذي أفتى بفتواه المشهورة: «إنّ مذهب الجعفريّة ـ المعروف بمذهب الشيعة الإماميّة الاثني عشريّة ـ مذهبٌ يجوز التعبّد به شرعاً، كسائر مذاهب أهل السنّة، فينبغي للمسلمين أن يعرفوا ذلك، وأن يتخلّصوا من العصبيّة ـ بغير الحقّ ـ لمذاهب معيّنةٍ، فما كان دين الله وما كانت شريعته بتابعةٍ لمذهبٍ، أو مقصورةً على مذهبٍ، فالكلّ مجتهدون مقبولون عند الله تعالى، يجوز لمن ليس أهلاً للنظر والاجتهاد تقليدهم، والعمل بما يقرّونه في فقههم، ولا فرق في ذلك بين العبادات والمعاملات»[2].

ـ الشيخ محمّد الفحّام، وهو شيخ الأزهر في وقته، وقد بعث برسالةٍ للشيخ حسن سعيد، ـ وهو من كبار علماء طهران ـ مسترجعاً ذكرياته في طهران عام ١٩٧٠م، حيث ذكر فيها: «وقد

---

(١) السنة والشيعة ضجة مفتعلة، فتحي الشقاقي، ص٧١، ملحق رقم ١.
(٢) المصدر السابق، ص٧٢، ملحق، رقم ٢.

أماجت هذه الزيارة في نفسي ذكرياتٍ جميلةً، ذكريات الأيام الّتي قضيتها في طهران سنة١٩٧٠، فعرفت فيها طائفةً كبيرةً من طوائف العلماء الشيعة الإماميّة، وعرفت فيهم الوفاء والكرم الّذي لم أعهده من قبل، وما زيارتهم اليوم إلا مظهر وفائهم، جزاهم الله كلّ خيرٍ، وشكر لهم مسعاهم الجميل في التقريب بين المذاهب الإسلاميّة الّتي هي في الحقيقة والواقع شيءٌ واحدٌ في أصول العقيدة الإسلاميّة الّتي جمعت بينهم على صعيد الأخوّة الّتي جسّدها القرآن، حيث يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[1]»[2].

وغيرهم الكثير من العلماء، هذا على صعيد علماء الطائفة السنيّة الكريمة.

أمّا على صعيد علماء الطائفة الشيعيّة الكريمة، فمنهم على سبيل المثال لا الحصر:

ـ السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ، صاحب كتاب المراجعات، الّذي هو عبارةٌ عن مجموعةٍ من المناظرات العلميّة الراقية من حيث الشكل والمضمون، بين السيّد عبد الحسين شرف الدين وشيخ الأزهر الشيخ سليم البشريّ.

ـ آية الله العظمى السيّد حسين البروجرديّ، وهو المرجع الأعلى لحوزة قمّ المقدّسة العلميّة في وقته.

ـ الشيخ محمّد تقي القمّيّ، وهو مبعوث السيّد البروجرديّ للأزهر الشريف.

---

(١) سورة الحُجرَات: الآية ١٠.

(٢) السنة والشيعة ضجة مفتعلة، فتحي الشقاقي، ص٧٣، ملحق رقم ٣.

ـ السيّد نوّاب صفويّ، مؤسّس حركة «فدائيّي الإسلام»، وقد زار جامع الأزهر الشريف والتقى بشيوخه، وقد قال: «لنعملْ متّحدين للإسلام، ولننسَ كلّ ما عدا جهادنا في سبيل عزّ الإسلام، أما آن للمسلمين أن يفهموا ويدعوا الانقسام إلى شيعةٍ وسنّةٍ؟!».

ـ الإمام الخمينيّ، مؤسّس الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران، الّذي تميّزت خطاباته بشعار الوحدة الإسلاميّة، ومقارعة الشيطان الأكبر والغدّة السرطانيّة، وقد قال في إحدى خطاباته عام ١٣٨٤هـ: «الأيدي القذرة الّتي تبثّ الفرقة بين الشيعيّ والسنّيّ في العالم الإسلاميّ، لا هي من الشيعة ولا من السنّة، إنّها أيدي الاستعمار الّتي تريد أن تستولي على البلاد الإسلاميّة من أيدينا، والدول الاستعماريّة ـ الدول الّتي تريد نهب ثرواتنا بوسائل مختلفةٍ وحيلٍ متعدّدةٍ ـ هي الّتي توجد الفرقة باسم التشيّع والتسنّن».

ومن جملة هؤلاء العلماء السائرين على هذا النهج القويم، سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)، وهو شمسٌ في سماء البحرين، عُرِفَ بتقواه وكفاءته العلميّة، وحرصه على السلم الأهليّ وتفعيل الوحدة الإسلاميّة والوطنيّة، وفي هذا السياق أطلق المجلس الإسلاميّ العلمائيّ ـ الّذي يترأّسه سماحة الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) ـ شعار المجلس لعام ١٤٢٨هـ تحت عنوان: (نحو وحدةٍ وطنيّةٍ وإسلاميّةٍ جامعةٍ).

وفيما يلي أستعرض قراءةً شاملةً لمفهوم الطائفيّة الّذي تناوله سماحة الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله) في خطب الجمعة على مدى سنواتٍ عدّةٍ.

الطائفيّة البغيضة:

يرى سماحته في الطائفيّة بأنهّا استعداءٌ من طرفٍ لطرفٍ، واستباحة إضْرارٍ به، وشرخٌ اجتماعيٌّ، وتربية أجيالٍ على الكراهية، وأنّ لها لغتين، لغةٌ لفظيّةٌ، ولغةٌ عمليّةٌ، وكلٌّ منهما لغةٌ فعّالةٌ مفسدةٌ تهدم الصالح من البناء، ولا تتحدّد بحدودٍ، بل تنتشر كانتشار النار في الهشيم.

يقول سماحته:

«للطائفيّة لغتان؛ لغةٌ لفظيّةٌ، ولغةٌ عمليّةٌ، وكلّ منهما لغةٌ فعّالةٌ مفسدةٌ، تهدم الصالح من البناء، وإذا كان لها أن تقيم شيئاً فإنمّا تقيم عمارةً خراباً، ولا أرى في الطائفيّة المجنونة إلا أنهّا تهدم كلّ خيرٍ، ولا تستطيع أن تقيم على الأرض صالحاً.

الطائفيّة استعداءٌ من طرفٍ لطرفٍ، واستباحة إضرارٍ به، وشرخٌ اجتماعيٌّ واسعٌ، وتربية أجيالٍ على الكراهية، وسلب حقوقٍ، وإسقاط قيمةٍ، ومشاعر بغضاءٍ بلا عقلٍ ولا إيمانٍ.

وطائفيّة الكلمة ـ أي الّتي تأتي عن كلمةٍ ـ لا تبقى طائفيّة كلمةٍ، وإنمّا تمتدّ إلى كلّ مساحات الحياة لتصبغها بلون الطائفيّة السوداء الكالحة.

وطائفيّة منطقةٍ لا تبقى طائفيّة منطقةٍ، إنمّا من شأنها أن تمتدّ إلى كلّ مناطق المسلمين، وإلى كلّ أقاليمهم لتنشر الخراب، لتنشر البغضاء، لتنشر سُنّة الاحتراب، فإذا حدثتْ

طائفيّةٌ في العراق فعلينا أن نفكّر فيها هنا، إذا حدثتْ طائفيّةٌ في الكويت فعلينا أن نفكّر فيها هنا، إذا حدثتْ طائفيّةٌ هنا فعلى كلّ المسلمين أن يفكّروا فيها للتّخلّص منها.

وطائفيّة المساجد لا تبقى طائفيّة مساجد، وإنّما تخترق كلّ الجدران، وكلّ الأبواب، ولو كانت الجدران محكمةً، ولو كانت الأبواب موصدةً لتدخل الجامعة، لتدخل الدائرة، لتدخل السوق، لتدخل كلّ قرارٍ، لتدخل أفكار الصبية، أفكار الصبايا، أفكار الشيوخ، أفكار كلّ الأعمار لتدمّر، لتفسد، لتحوّل الحياة عذاباً.

والطائفيّة منطلقاً هي إمّا سياسيّةٌ مربوطةٌ بسياسةٍ داخليّةٍ، أو سياسيّةٌ مربوطةٌ بسياسةٍ خارجيّةٍ، وكلاهما شرٌّ.

كلّ سياسةٍ تتّخذ من الطائفية مركباً لتثبيت قدمها هي سياسة شرٍّ قتّالةٌ لنفسها والآخرين، وقد يكون منطلق الطائفيّة هو الحقد العامّ على الإسلام من غير المسلمين، ومن أعداءٍ داخليّين في المجتمع الإسلاميّ، ويأتي منطلقٌ آخر خطيرٌ أيضاً، وهي العصبيّة العمياء بخلفيّةٍ من تربيةٍ جاهلةٍ لا تعرف الإسلام، ولا تقدّر الأمور، وتقوم في تنشئتها للجيل على الكراهية البغيضة للمسلمين، والاستخفاف بكلّ فهمٍ للإسلام غير الفهم الّذي تربّت عليه حتّى لو كان هذا الفهم سقيماً؛ فلا بدّ من بعد ذلك من تيّارٍ عامٍّ داخل المسلمين، تيّارٍ معتدلٍ يرفض الدعوات والمواقف الطائفيّة ويدينها بصورةٍ مبكّرةٍ، وبشكلٍ جدّيٍّ حازمٍ.

وحين تُثار الطائفيّة في أيّ بلدٍ يجب أن يهبّ ضدّها

كلّ المسلمين؛ لأنها لن تحرق طائفةً منهم فحسب، وإنّما ستكون محرقةً كلّ الطوائف والفئات»[1].

ويرى سماحته بأنّ نشر العداوة بين الطائفتين الكبيرتين المسلمتين هو هدمٌ لكيان المسلمين، وتمكينٌ للأعداء، وحذرٌ ـ في سياق كلامه ـ من صنّاع الطائفيّة، وقدّم دعوةً للنخبة ـ شيعةً وسنّةً ـ وكلّ المهتمّين بشأن الإسلام، بأن يوحّدوا الصفّ في مواجهة دعوات التفريق والتخريب الّتي تستهدف صفوف المسلمين.

يقول سماحته:

«نشْر العداوة بين الطائفتين المسلمتين الكبيرتين هدمٌ لكيان المسلمين، وتمكينٌ لأعداء الله منهم، لا يفعّل تأجيج هذه العداوة وإشعال نارها إلا غافلٌ أو مجرمٌ، وهناك صنّاعٌ للطائفيّة، أتحدّث عن بعضهم، على مستوى العناوين فقط:

١) شخصٌ جاهلٌ، أَسَرَتْهُ ـ هذا الشخص الجاهل، ومن يقابله قد يكون عالماً، وقد يكون مثقّفاً بالثقافة غير الفقهية، وقد يكون زعيماً سياسيّاً، وقد يكون غير ذلك ـ النظرة الخانقة، فهو ينظر للإسلام نظرةً خانقةً، مجزوءةً، ليست له النظرة الّتي يستطيع من خلالها أن يرى أين تكمن مصلحة المسلمين، وأين تكمن مصلحة الحقّ، إذا كان المذهب السنيّ هو الحقّ فهل تكمن مصلحة المذهب السنّيّ في أن يشنّ حرباً على التشيّع؟ وهو يلتقي معه في مساحةٍ

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٥٠) بتاريخ ٢٦ صفر ١٤٢٥هـ، الموافق ١٦/ ٤/ ٢٠٠٤م.

كبرى من الإسلام؟ وإذا كان الحقّ كلّ الحقّ في التشيّع فهل من صالح التشيّع أن يشنّ حرباً على التسنّن في البلاد الإسلاميّة وغير الإسلاميّة والسنّة تلتقي مع الشيعة في كثيرٍ من القضايا؟ وهل أنّ الفكر الشيعيّ الصافي الأصيل، وما قدّمه الأئمة عليهم السلام من دروسٍ نظريّةٍ وعمليّةٍ في هذا المجال، تبعث على شنّ حربٍ من هذا النوع؟ أو أنّ الأئمة عليهم السلام يرفضون أن تخلق حالةٌ من العداوة، وأن تضرم نار العداوة بين المسلمين، وأنّه إذا كانت هناك دعوةٌ ـ ولتكن ـ فإنّما هي دعوةٌ على منوال ما أوصى به الكتاب الكريم ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ﴾[1]، وعندنا: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[2].

٢) غزارة الحقد الّذي قد يغزو القلب والإنسانُ في سنيّه الأولى، جدّةٌ غافلةٌ، أبٌ غافلٌ، أمٌّ غافلةٌ، بدل أن توضّح حدود الحقّ وتميّز الحقّ عن غيره، وما ينبغي أن يكون عليه التعامل بين المسلمين من الخلق الرفيع، والتراحم والتعاون على الخير، ورفع حاجة المحتاج، وعوز المعوز، شيعيّاً كان أو سنيّاً، هذه الجدّة أو تلك الأمّ أو ذلك الأب يزرع الحقد على الشيعة والتشيّع، أو على السنّة والتسنّن، ليس مطلوباً منّا أبداً أن نزرع هذا الحقد في نفوس أبنائنا، مطلوبٌ جدّاً جدّاً أن نقدّم لهم الرؤية الدينيّة الصافية، والمدرسة الحقّ، وهي مدرسة أهل البيت عليهم السلام،

---

(١) سورة النّحل: الآية ١٢٥.

(٢) سورة النّحل: الآية ١٢٥.

وعلينا مع ذلك أن نزرع في نفوسهم الخُلُق الإسلاميّ، وكيفيّة التعامل الصحيح مع المسلمين.

٣) عالمٌ لا ورع له، أو أيّ شخصٍ، شخص لا ورع له يبحث عن جمهورٍ من طائفةٍ سنّيّةٍ أو شيعيّةٍ لأغراضٍ دنيويّةٍ.

٤) شخصٌ يعمل على التفريق بين المسلمين بالوكالة عن عدوّهم، ويتقاضى أضخم الأجور على هذه العمالة.

٥) حاكمٌ يعتمد في تثبيت حكمه ووضعه على إضعاف الأمّة بالفُرقة، ولقد كان دور الدولتين الأمويّة والعبّاسيّة في التفريق بين المسلمين واضحاً جدّاً حتّى أُبعد مذهب الإمام جعفر الصادق عليه السلام، وأُسْقِطَتْ صحّة التعبّد به وهو أصل المذاهب.

وهنا الدعوة تتوجّه للنّخبة ـ من الشيعة والسنّة، ولكلّ المهتمّين حقّاً وصدقاً بشأن الإسلام ـ بأن يوحّدوا الصفّ في مواجهة دعوات التفريق والتخريب الّتي تستهدف صفوف المسلمين»[1].

نظريّة الفوضى البنّاءة والدم الحرام:

لا يخفى ما للدم الحرام من حرمةٍ في الإسلام، وإن أحلّه فراعنة الأرض ومروّجو شريعة الغاب بستار الديمقراطيّة، فإباحة

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٦٧) بتاريخ ١ جمادى الأولى ١٤٢٣ هـ، ١٢/٦/٢٠٠٢م.

الدم الحرام من خلال خلْق فوضى في المجتمعات الإسلاميّة ـ من قِبَل ساسة الاستكبار ـ عن طريق الحروب الطائفيّة غايته إيجاد حالة اليأس من الإسلام، والتشكيك في قدرته على تلبية حاجة الفرد والمجتمع، ومن ثَمَّ طرْح بديلٍ في المجتمعات الإسلاميّة، ألا وهو ديمقراطيّة الغرب بخلفيّتها الفكريّة، وبأخلاقيّاتها، وبأهدافها المادّيّة بعيداً عن قيم الدين.

يقول سماحته:

«تحُلّه ـ أي الدم الحرام ـ دائماً مطامع المستكبرين، ويحُلّه الجهل بالإسلام، والبُعد عن الإسلام، أُحلّ الدم الحرام:

ـ سنّيّاً سنّيّاً: فهو حلالٌ على هذا المستوى في أفغانستان، وفي فلسطين، وفي تركيا، والجزائر، والصومال، والسودان.

ـ وأُحلّ سنّيّاً شيعيّاً: كما هو الوضع في العراق وفي باكستان.

ـ ويمكن أن يحلّ شيعيّاً شيعيّاً في معارك أخرى، وهو قد حصل في إيران، وفي لبنان، أقول وراء أن يحلّ الدم المسلم الحرام مطامع استكباريّة عالميّة من الخارج تُثير الفتن في داخل هذه الأمّة وتُغذّيها تحت شعارٍ مُدمِّرٍ تبنّاه جناحٌ متطرّفٌ في أمريكا، وهو ما يُسمّى بالفوضى البنّاءة، والفوضى البنّاءة تعني أن يُعمل جدّاً ـ ومن خلال كلّ الوسائل ـ على خلْق فوضى في المجتمعات الإسلاميّة

عن طريق الحروب الطائفيّة والقوميّة والعرقيّة وإلى آخره، وهذه الفوضى هي الّتي يمكن من بعد ذلك ـ ومن بعد أن يحصل يأسٌ من الإسلام، ومن حلٍّ من الداخل ـ أن تقود إلى ديموقراطيّة الغرب بخلفيّتها الفكريّة، وبأخلاقيّتها، وبأهدافها المادّيّة بعيداً عن قيم الدين، وعن انتماء هذه الأمّة إلى الهويّة الإسلاميّة، وبحيث تضمن تبعيَّة الأمَّة للمستكبر.

فيا شيعة وسنّة في الخليج وفي البحرين، احذروا؛ فإنّكم غير متروكين، فمصالح من الخارج، وربما تبعتها مصالح من الداخل، أو كانت معها في عرضٍ واحدٍ تتجّه إلى خلْقِ الفتنة الحارقة داخلكم، فابغضوا قلماً يثير الفتنة، حاربوا هذا القلم، وابغضوا وحاربوا أيّ لسانٍ يثير مسألة الطائفيّة البغيضة، لا تحتاج إلى نظرٍ ممعنٍ حتّى تعرف أنّ فتنةً سيّئةً قاتلةً مقصودةٌ لهذا المحيط الخليجيّ، ووقود هذه الفتنة مستضعفو الشيعة والسنّة، فيا إخوتي السنة والشيعة، احذروا أن تكونوا وقوداً لأطماع المستكبرين؛ مستكبري أمريكا، ومستكبري أوروبّا، وكلمةٌ للحكومة: قليلٌ من عدلٍ يقي كثيراً من شرٍّ، وفي العدل ـ لا الظلم ـ دوام المُلك، والفتنة لا تحمي ملكاً، وإنّما تُدمِّر أوطاناً، وتُهلك الحرث والنسل، والغَلَبة في فتن البيت الواحد هزيمةٌ، والفتنة من الطابع السياسيّ ـ وحيث لا تتعدّاه ـ خطيرةٌ مدمِّرةٌ، أمّا الفتنة السياسيّة أو غيرها إذا دخلها العنصر الدينيّ أو المذهبيّ فهي أكثر خطورةً وأشدّ تدميراً، ليرحم أصحاب

الفتنة هذا البلد الصغير بكلّ فئاته وأبنائه، ومنهم هم نفسهم»[1].

وفي صدد حديثه عن الشحن الطائفيّ الموبوء بجراثيم الحقد والكراهية، الّذي تتعرّض له الساحة الإسلاميّة العامّة، والساحة المحلّيّة، يقول سماحته:

«المنطقة مشتغلةٌ بالتحضير الميدانيّ العسكريّ، والسياسيّ، والنفسيّ، وعلى كلّ الأصعدة لحربٍ عدوانيّةٍ جديدةٍ بإرادةٍ وتخطيطٍ أمريكيّين، والفتنة الطائفيّة بين الإخوة من أبناء الأمّة الإسلاميّة الواحدة وقع الاختيار عند المخطّط على أن تكون من بين الآليّات الفعّالة الأهمّ في هذه الحرب، ومعلومٌ أنّ تأثير الفعل يحتاج إلى قابلٍ، والمسلمون ـ حسب واقع علاقاتهم حتّى داخل المذهب الواحد والقوميّة الواحدة والقطر الواحد ـ لا يملكون عصمةً أمام مؤامرات الفرقة والشتات والاقتتال، وذلك من بُعدٍ شاسعٍ ارتكبوه عن الإسلام، ونحن على يقينٍ بأنّ تأجيج الفتنة بين المسلمين، وإثارة الأحقاد والأراجيف المفسدة في صفوفهم، ممّا يغضب الله ورسوله ﷺ، ويمكّن منهم أعداءهم والمتربّصين بهم الدوائر، والساحة العامّة الإسلاميّة، والساحة المحلّيّة في هذا البلد تتعرّض لشحنٍ طائفيٍّ فوق العادة، وضخٍّ مستمرٍّ لمشاعر الحقد والكراهية

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٢٤٦) بتاريخ ١٢ جمادى الأولى ١٤٢٧هـ، ٩/٦/٢٠٠٦م.

بين المسلم الشيعيّ والمسلم السنّيّ، ولكلماتٍ تستفزّ النفوس، وتدفع إلى المواجهات المجنونة الّتي حرّم الله تبارك وتعالى ورسولُه ﷺ.

وهي كلماتٌ تُحذّر دائماً طائفةً من المسلمين بأنّ حرب الطائفة الأخرى لها على الأبواب، وأنها مصمّمةٌ أن تسلبها كلّ المواقع والامتيازات إلى حدّ الإسقاط والإلغاء، وسحق المذهب الآخر، وكأنّ الطائفة الأولى صفرٌ على الشمال، ولا تملك أيّ إمكاناتٍ للدفاع عن نفسها، الله أعلم ماذا وراء كلّ هذه التهويلات والاختلاقات والتوهّمات من تصورٍ وتصديقٍ وتوقّعٍ، ونيّةٍ في نفوس أصحابها، وليست لنا وقفة مناقشةٍ حتّى موضوعيّةٍ مع هذه الممارسات، ولكن من الضروريّ أن نذكّر النفس وكلّ الإخوة من المسلمين شيعةً وسنّةً بوجوب الحذر من الانسياق وراء هذا التخويف للمسلم من مسلم، وحرْق العلاقات الإسلاميّة بينهما لحساب الاطمئنان إلى الأجنبيّ الّذي ما فتأ يكيد بالإسلام والمسلمين، كما ندعو المستهدفين بهذه الحملات المنظّمة المستعرة إلى مقابلتها بالصبر أو التصبُّر وقايةً لشرٍّ مستطيرٍ يوقع المسلمين كلّهم في هول أعظم نكبةٍ، علينا أن نصرّ بأن يضع الشيعيّ يده في يد السنّيّ، وأن يضع السنّيّ يده في يد الشيعيّ، غير ملتفتين إلى كلّ الأصوات النشاز من هذا الطرف أو ذلك الطرف ممّن يُريد أن يُشعل الفتنة»[1].

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٢٧٤) بتاريخ ١٢ صفر١٤٢٨هـ، ٢/٣/٢٠٠٧م.

الطائفيّة العباديّة والطائفيّة السياسيّة:

يرى سماحته أنّ الطائفيّة في منطلقها العباديّ واقعٌ لا مفرّ لنا من الاعتراف به، وهو موجودٌ في المذهب الواحد فضلاً عن المذاهب المتعدّدة، ولا معالجة جذريّة بالنسبة لهذا الواقع إلا بظهور الإمام المنتظر عجل الله فرجه الشريف، بيْد أنّ الحوار العاقل والهادئ مسألةٌ دينيّةٌ حتميّةٌ للتعاطي مع هذا الواقع.

يقول سماحته:

«هناك طائفيّةٌ عباديّةٌ في داخل الإسلام، المذهب السنّيّ والمذهب الشيعيّ يختلفان بدرجةٍ من الاختلاف في مسألة العبادات، كيفيّة العبادة، هناك اختلافٌ على قضيّة الإمامة، هذا الاختلاف من دون الاختلاف على الإمامة، وهنا الاختلاف الفقهيّ نجده في المذهب الواحد، ونجده عند الفقيه الواحد من فقهاء السنّة، من أئمّة السنّة الأربعة، يقول بالرأي ثم يصير إلى رأيٍ اجتهاديٍّ غيره؛ لأنّ المسألة عند مالك والشافعيّ وأبي حنيفة مثلاً، المسألة عندهم مسألة اجتهادٍ.

الشيء الّذي لا نرتقبه من الإمام المعصوم عليه السلام هو أن يتغيّر الرأي الواقعيّ عنده، الإمام عليه السلام عمليّة توصيل الحكم عنده ـ والتوفّر على الحكم ـ ليست قائمةً على الاجتهاد، المهم، هذا الاختلاف العباديّ الّذي يقسّمنا طائفتين من ناحيةٍ عباديّةٍ، لا مفرّ لنا من الاعتراف به، ولا معالجة سريعة ولا طويلة المدى بالنسبة إليه إلا يوم أن يظهر الإمام

القائم (عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه)، ويتبيّن كلّ المسلمين واقع الأمر، هناك ربما خرج شيعيٌّ من تشيّعه عناداً، ودخل أفواجٌ من السنّة في التشيّع استسلاماً للحقّ، ستجدون أنصاراً للإمام القائم عليه السلام في روسيا من الشيوعيّين، وفي الصين، وفي أمريكا، وفي كلّ مكانٍ، وربما تجدون من يواجه الإمام القائم عجل الله فرجه من داخل المساجد، حين يكون دخوله المسجد للإضرار، للتجسّس على المؤمنين لعدوٍ كافرٍ خارجيٍّ مثلاً»[1].

وفي صدد التعاطي الإيجابيّ مع الطائفيّة العباديّة، يقول سماحته موضّحاً ذلك بموقف أمير المؤمنين عليه السلام في تعاطيه مع معاوية: «علينا أن نتعامل معها التعامل الّذي أوصى به الله تعالى، تبقى أخوّتنا الإسلاميّة إذا طمعت في أن يكون أخي السنّيّ شيعيّاً، فليكن ذلك من خلال الحوار الهادئ والطرح العلميّ البعيد عن أيّ تعصّبٍ وتشنّجٍ، وإذا طمع أخي السنّيّ في أن أكون سنّيّاً معه، فليسلك نفس السلوك، وهذا هو الطريق الحقّ في هذه المسألة».

ويقول سماحته:

«أمير المؤمنين عليه السلام لم يشنّ حرباً على معاوية لأنّ من معه كان لا يحترم أمير المؤمنين عليه السلام ولا يأخذ الحكم من طريقه، يعني ليس لأنّ أهل الشام لم يأخذوا

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٧) بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١/٧/٢٧ م.

أحكام صلاتهم وصومهم عن طريق أمير المؤمنين عليه السلام حاربهم..

إنّما حاربهم لأنّ معاوية من البغاة، خارجٌ على إمام زمانه، أمّا مسألة اختلاف المذهب وأنّ أي عالمٍ كان يذهب مذهباً غير مذهب أمير المؤمنين عليه السلام في الفقه كان يحاربه عليه السلام لم يعرف عنه ذلك، فلا حرب بين المسلمين سنّةً وشيعةً، ولا إضرار دنيويّ لهذا الاختلاف المذهبيّ العباديّ»[1].

أمّا البليّة كلّ البليّة، فيرى سماحته بأنهّا تكمن في الطائفيّة السياسيّة ذات النفس الإقصائيّ الّتي يهندس لها ـ عادةً ـ مهندسو السلطة ومواقع النفوذ، يقول سماحته:

«البليّة كلّ البليّة في الطائفيّة السياسيّة، والطائفيّة السياسيّة ماذا تعني؟! تعني محاولة إقصاء طرفٍ لطرفٍ، محاولة تقزيمه في أعماله من ناحيةٍ ماليّةٍ، من ناحيةٍ ثقافيّةٍ، من ناحيةٍ أمنيّةٍ، هنا تجري محاولةٌ دائمةٌ لإقصائه وطرده عن مواقع التأثير، عن مواقع النموّ، عن مواقع الرشد وما إلى ذلك، الطائفيّة السياسيّة تعني استعمال الموقع ضدّ طائفةٍ معيّنةٍ، تعني تسخير الطاقات والإمكانات في هذا البلد أو ذاك من أجل ملاحقة طائفةٍ معيّنةٍ في مستواها العلميّ والثقافيّ والاقتصاديّ وما إلى ذلك.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٧) بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٧/٧/٢٠٠١ م.

هذه الطائفيّة في العادة من أين تبدأ؟ هل تبدأ من القاعدة؟ من الشعب؟ أو تبدأ في العادة من السلطة؟ المعقول والّذي يسمح به الواقع العمليّ أنّ الضعيف لا يتحرّش بالقويّ، وأنّ الضعيف يحاول أن يمهّد الطريق للمصالحة مع القويّ حتّى تسلم له بعض مصالحه، والسلطة بما تملك من إمكاناتٍ، وفي تقديرٍ من التقديرات، وفي حالة السلم أقوى من الشعب، الشعب أقوى من السلطة حين تهبّ ريح الفتنة، وحين تشتدّ وتشتعل نارها، أمّا في حالات السلم فالسلطة أملك للأمر، والناس ـ كلّ الناس ـ ليسوا طلّاب فتنةٍ، وتتعبهم الفتنة، ويحبّون الراحة والاسترخاء، ويحبّون التفرغ لأعمالهم ولأفكارهم، ولنموّهم الذاتيّ، ولمصالحهم الشخصيّة، في المتصوّر أنّ الحرب الطائفيّة وأنّ الفتنة الطائفيّة، وأنّ الطائفيّة السياسيّة إنّما تبدأ من موقع السلطة، وربما استجابت لها الشعوب بسرعةٍ، وإن كان عن غفلةٍ منها»[1].

ويقول سماحته ـ متسائلاً وهو ينتقد دعاة الطائفيّة وأبواق الصحافة ـ :

«لماذا إلهاب الجوّ؟! ودقّ طبول الحرب، حرب الطائفيّة؟! أنا في نظري أنّ الصحافة تخطئ كلّ الخطأ ـ إذا أحسنت النيّة ـ حين تحاول إثارة غبار الطائفيّة، والطائفيّة

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٧) بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٧/٧/٢٠٠١ م.

بغيضةٌ ممزّقةٌ، تعبّر عن مرضٍ داخليٍّ قاتلٍ فتّاكٍ، من أحبّ إثارة الفتنة الطائفيّة من موقعٍ شعبيٍّ أو من موقعٍ رسميٍّ فهو إنّما يحاول أن يهدم البيت على غيره وعلى نفسه، الوطن بيت الجميع، وعلى الجميع أن يرعوا هذا البيت، وأن يحافظوا على بنائه، وبناؤه لا يستقيم مع الفرقة والشتات والتناحر.

الصحافة تخطئ حين تثير جوّاً ملهِباً تدّعي أنّها تحاول أن تعالج به أمر الطائفيّة، وهذه الحملة تمثّل في نفس الوقت إثارة روح الطائفيّة والتشنّج وإلفات أنظار الناس إلى ما يمكن أن يكون منبع فتنةٍ كبرى»[1].

وفي إطار رفضه للطائفيّة شعاراً ودعوةً وممارسةً، يقول سماحته:

«لا للطائفيّة شعاراً، دعوةً، ممارسةً، لا للطائفيّة الّتي تستبيح الآخر، تنقص حقّه، تحاول تقزيمه والإضرار به، تسترخص حقوقه، تستهدف تهميشه، ترتاح لمظلوميّته، تتأخّر عن نصرته عند ظلمٍ مسّه، لا لطائفيّةٍ تمزّق المجتمع، تفصم عرى الألفة والمحبّة والأخوّة بين أبنائه، تهدم الجسور، وتحفر الخنادق، وتقطّع الصلات، وتوسّع الشُّقّة، وتوهن الإسلام، وتُطمع فيه أعداءه، نعم للاعتراف بالحقوق والمشاركة العامّة في المطالبة بها حتّى إقرارها، وإذا كنّا شيعةً وسنّةً فإنّ الإسلام يرعى حقوق الجميع، وإنّ المواطنيّة

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٧) بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٧/٧/٢٠٠١ م.

الواحدة قاعدةٌ لحقوقٍ ثابتةٍ مشتركةٍ، وهنا ينبغي التنبيه على أمرين مهمين:

أولاً: ينبغي أن لا يتضايق الشيعة من وصول إخوانهم السنة لشيءٍ من حقوقهم، وإنصاف الحكومة لهم والتوسعة عليهم في الوظائف والخدمات والمشاريع الدينيّة والثقافيّة وغيرها مما يشارك في راحة الحياة وتقدّم المستوى، والصحيح هو أن يفرح المسلم لخير أخيه المسلم، فهنيئا للإخوة السنّة أن يُوسّع عليهم، أن ينالوا حقوقهم، أن يتقدّم مستواهم.

ثانياً: من حقّ الشيعة ـ بل من واجبهم ـ أن يطالبوا الحكومة بكامل حقوقهم من حيث إنهم مواطنون كاملو المواطنيّة، وأن يصروا على تطبيق العدل والإنصاف بعيداً عن شعارات الطائفيّة، ولا يليق بالإخوة السنّة أن يحملوا هذه المطالبة بالحقّ من الشيعة على الطائفيّة؛ فإن الحقّ أحقّ أن يتّبع، والإنصاف فيه خير الجميع، وسدٌّ لأبواب الشرّ، ولا يصحّ أن يسرّ أحداً ظلم أخوةٍ له في الدين والوطن، وأن يقف من ذلك موقف المتفرّج الّذي لا يعنيه من جرح أخيه شيءٌ، ولا يسيئه اختلال موازين الحقّ والعدل والإنصاف.

وملخّص القول إنه إذا أردنا أن نكون مسلمين كما يحبّ لنا الإسلام ويرضى، فعلى الشيعيّ أن يفرح لخير أخيه السنيّ، وأنّه قد نال شيئاً من حقوقه في ذمّة الحكومة، وعلى السنّيّ أن يفزع لشرّ أخيه الشيعيّ، ويهبّ معه للمطالبة بحقه الثابت في ذمّة الحكومة، على أنّ الأمر لا يعني

المواجهة بين حكومةٍ وشعبٍ، ولا يتّجه إلى خلْق حالة توتّرٍ وصراعٍ، وإنّما كلّ الأمر هو أن يؤخذ بالعدل، وتؤدّي الحكومة وظيفتها الواجبة، ويعطى لكلّ ذي حقٍّ حقّه في جوّ من المودّة والمحبّة والاطمئنان الّذي يعمّ الجميع»[1].

الجرح العراقيّ وشبح الطائفيّة:

ويحذّر سماحته من تجربة العراق الجريح، ويقول:

«كاد العراق أن يحترق طائفيّاً، وقد حاول عقلاؤه ـ ولا زالوا ـ يحاولون جادّين أن يتجاوزوا به كارثة هذا الخطر المميت، وفي البحرين من يتعمَّد الاقتراب بواقعنا من إثم الانشقاق والمواجهة، ونداؤنا: لا تغرقوا سفينتكم الواحدة، ومن يفعل لا بدّ أنّه سيغرق مع من سيغرقون، وليس بيد طرفٍ دائماً أن يثير العاصفة، ويتراجع بها إلى الحدّ الّذي يريد، وفي الوقت الّذي يريد، لا يضمن أحدٌ نجاته من محرقة الفتنة الطائفيّة المجنونة، وإن احتمى بقلعةٍ أو اعتصم بجبلٍ، وإذا أسّس هذا الجيل لطائفيّةٍ حاقدةٍ فإن انفجرت ـ أي هذه الطائفيّة ـ أيّامه فستحرقه، وإن تأخّر انفجارها فسيحترق بنارها جيلٌ لاحقٌ ليلعن سابقه بعد أن يُفيق على هول الكارثة، وخيانة المؤسّسين للفتنة»[2].

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٢٠١) بتاريخ ١٨ ربيع الثاني ١٤٢٦هـ، ٢٧/٥/٢٠٠٥م.

(٢) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٩٤) بتاريخ ٢٨ صفر ١٤٢٦هـ، ٨/٤/٢٠٠٥م.

ويقول سماحته أيضاً وهو يحذّر من استيراد الفتن من الخارج أو صناعتها في الداخل:

«ربما بدأتْ بوادر طائفيّةٌ تطفح على السطح في العراق منذرةً بتفجّرٍ خطيرٍ، وهي أمنيةٌ سعى إليها المحتلّ الأجنبيّ والإرهابيّون في العراق على السواء، وطائفيّة الخطف والذبح واستباحة المال والعرض والدم كفرٌ عمليٌّ لا إيمانٌ ـ وقيد الكفر بكونه عملياً لمن يفهمه ـ وجاهليةٌ لا إسلامٌ، وهي تمثّل مصيراً أسود ينتظر الإنسان والأرض باليابس منها والأخضر، ويرجى للعراق ألا يسقط في محرقة الطائفيّة البغيضة بدرءٍ من الله، ثمّ بجهد الواعين المخلصين المشفقين على مصير الإسلام والمسلمين من أبنائه، والقوى الإسلاميّة الخيّرة من خارجه.

وعلى البحرين أن تشارك ـ حكومةً وشعباً ـ ما استطاعتْ في إطفاء هذه الفتن وأمثالها وأشباهها في العراق وأيّ بلدٍ آخر من بلاد الجوار وغيرها من أقطار الأمّة المسلمة، وأن نحذّر جميعاً من استيراد مثل هذه الفتن القاضية من الخارج، أو التأسيس لها ابتداءً من الداخل، فإنهّا خيار المجانين، والأمّة إذا لم تنكر هذه الجرائم البشعة مجاهرةً بإنكارها، وإذا لم تقفْ في وجهها بكلّ الوسائل الممكنة، فهي أمّةٌ مضيّعةٌ لدينها، خائنةٌ لأمانتها، متعرّضةٌ لغضبٍ من الله وعذابٍ أليم».

ويختتم سماحته الحديث عن الجرح العراقيّ النازف، ويقول:

«فلنتّقِ الله في دماء المسلمين وحرمة أهل القبلة، فأيّ شهادةٍ سيؤدّيها نهر دجلة بين يدي العدل الحكيم وهو يفيض بدماء الأبرياء من أهل القبلة، وتتقاذف أمواجه جثث المؤمنين شيباً وشبّاناً، ونساءً وأطفالاً، وهي ممثّلٌ بها، ألا من عاقلٍ؟! ألا من غيورٍ؟! ألا من منكرٍ؟! إمّا إنكارٌ وإلا بلاءٌ وعذابٌ من الله يعمّ هذه الأمّة»[1].

أسس الاتّحاد:

يرى سماحة الشيخ بأنّ الأمّة الواحدة لا بدّ لها من أسسٍ ترتكز عليها، وهذه الأسس في واقعها هي العمود الفقريّ لذلك الجسد الواحد، وقد تحدّث سماحته عن ثلاثةٍ من الأسس لاتحاد الأمّة، وهي تتفاوت من حيث التأثير:

١) الالتقاء الفكريّ.

٢) القيم المعنويّة.

٣) تشابك المصالح.

يقول سماحته:

«للاتحّاد أسسٌ، الاتحّاد يقوم على الالتقاء الفكريّ أو التقارب الفكريّ، فما من أمّةٍ يمكن أن تنشأ وأن تتوحّد إلّا وهي ترتكز إلى مرتكزٍ فكريٍّ واحدٍ تلتفّ حوله بفهمٍ واحدٍ، أو بفهمٍ متقاربٍ، ومن دون ذلك لا يمكن أن تقوم قائمةٌ

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٩٦) بتاريخ ١٣ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، ٢٢/٤/٢٠٠٥م.

لأمّةٍ، ولا يمكن أن يتحقّق اتحّادٌ»، ويقول أيضاً: «بالنسبة للاتحّاد في إطار الإسلام، حين يكون عندنا فهمٌ متكاملٌ للإسلام، لتعاليم الإسلام، لأخلاقيّات الإسلام، لمفاهيم الإسلام، لوصايا الإسلام، لأحكام الإسلام، كلّما كان اتحّادٌ في الفهم أو تقاربٌ في الفهم، لمجموع أحكام الإسلام، أخلاقيّات الإسلام، مفاهيم الإسلام، كلّما توحّدت الأمّة وانتظمتْ في مجموعةٍ كبرى متناسقةٍ ومنظومةٍ كبرى متناغمةٍ، كلّ جهودها تتلاقى من أجل إنجاح أمرها في الدنيا وفوزها في الآخرة»، وأيضاً: «لا بدّ من قيمٍ معنويّةٍ، الحياة لا يمكن أن تستمرّ حتّى دنيويّاً بغير قيمٍ معنويّةٍ، أقدّم مثالاً بسيطاً: الله ﷻ أوجب الصدق وحرّم الكذب، هذه قيمةٌ من قيم الدين، وهذا حكمٌ من أحكام الله ﷻ، استبدلوا هاتين القضيّتين بقضيّتين معاكستين، لو أُحِلّتْ حرمة الصدق محلّ وجوب الصدق، ووجوب الكذب محلّ حرمة الكذب، ماذا سيكون؟ الأب يكذّب ابنه، والمربّي يكذّب تلميذه، الأمّ تكذّب ابنها، كلٌّ يواجه الآخر بالكذب، الطبيب، الحاكم، المحكوم، مراكز السفر، مراكز التموين، الكلّ يتعامل بالكذب، ولأعطي مدّة عشرة أيام أو أقلّ من هذا للتعامل بالكذب في العالم، فليتبنّى العالم خُلُق الكذب لعشرة أيامٍ فقط، في كلّ مؤسّساته، وفي كلّ بيوته، وفي كلّ مرافق وجوده، كيف ستكون الحياة؟! تأمّلوا قليلاً، ستجدونها تنتهي أو تقارب الانتهاء، الطيّار حين يكذّبك، أنت حين تكذّب الطيّار، بائع السمن حين يكذّبك، بائع الدواء حين يكذّبك، انظروا ماذا سيكون؟! فلا بدّ من قيمٍ،

أيضاً تشابك المصالح يعدّ عاملاً من عوامل الاتحّاد وبناء الأمّة الواحدة، ولكنّه لا يكون بقوة عامل الالتفاف الفكريّ حول المحور الواحد، وعامل القيم المعنويّة وإن كان له دورٌ كبيرٌ جدّاً، تشابك المصالح يدفع للاتحّاد، ولمحاولة القضاء على الفتن وسدّ بؤرها»[1].

هل أنت طائفيٌّ؟

نرى سماحته يتجاهر بتشيّعه وانتمائه لمذهب أهل البيت عليهم السلام، موضّحاً بأنّ ذلك الانتماء إنّما هو عن نظرٍ وبرهانٍ، ترشّحت عنه قناعةٌ تامّةٌ وإيمانٌ أكيدٌ، ونراه أيضاً يدافع عن معتقدات الشيعة، ويبيّن رؤاها التوحيديّة الخالصة المستندة إلى الكتاب والسنّة، والمعتمدة على البراهين الساطعة والأدلّة القاطعة.

يقول سماحته:

«تسألني هل أنت مذهبيٌّ؟ أقول لك: نعم، أنا مؤمنٌ بمذهبٍ معيّنٍ من المذاهب الإسلاميّة لا غبار عليه في رأيي، وهو المذهب المتلقّى عن أهل البيت عليهم السلام، وانتمائي له عن نظرٍ وبرهانٍ ترشّحت عنه قناعةٌ تامّةٌ وإيمانٌ أكيدٌ، وفي الوقت نفسه لا أكفّر أحداً من إخواني المسلمين، ولا أكنّ لهم حقداً، ولا أستحلّ أن أمكر بهم لهذا المذهب أو ذاك، وتسألني: هل أنت طائفيٌّ؟ أقول لك: إذا كان ذلك بمعنى أنيّ أُحبّ لطائفتي الاستقامة والخير والتقدّم، وأحبُّ

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٧) بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٧/٧/٢٠٠١م.

منها ولها العدل ـ وهو الشيء الّذي أُحبّه لكلّ المسلمين، بل ولكلّ إنسانٍ ـ فأنا ـ بهذا المعنى ـ طائفيٌّ، وهو معنىً لا يُؤاخَذُ عليه أحدٌ أبداً، وهو من أكبر معاني الانفتاح الإنسانيّ الكريم، وإذا كان معنى الطائفيّة أن أحبّ لطائفتي الهدى ولغيرها الضلال، ولها الاستقامة وله الانحراف، ولها الخير وله الشرّ، وأن يسودها العدل وأن يُعامل الغير بالظلم، فهذه طائفيّةٌ أمجّها، وأكرهها، والسبب واضحٌ؛ ذلك لأنّ ديني ومذهبي يُكرّهُها لي ولكلّ منتسبيه، فهي طائفيّةٌ ينبذها القرآن الكريم، وسنّة المعصومين عليهم السلام، وسيرتهم الوضّاءة الشريفة.

نعم، أبغض الكفر والفسق والظلم والعدوان أين كان، ومن أيٍّ كان، وأؤمن بمواجهته بما يُستطاع، ومن منطلق حبّ الخير للإنسان كلّ إنسانٍ؛ إذ لا خير في الكفر، والخير كلّه في الإيمان والهدى والاستقامة والالتزام»[1].

ويقول أيضاً وهو يدافع عن مذهب التشيع لأهل البيت عليهم السلام:

«المسلمون كلّهم موحّدون، ومنهم أتباع أهل البيت عليهم السلام، وتوحيد هؤلاء الأتباع ـ وهم الشيعة الاثنا عشريّة ـ نقيٌّ خالصٌ لا شوب فيه؛ ففي هذه المدرسة لا اثنينيّة، ولا تعدّد على مستوى الذّات الإلهيّة المتعالية، ولا تعدّد في الصفات خارجاً، ولا بين الذّات والصفات كذلك،

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٢٦٠) بتاريخ ٢ ذي القعدة ١٤٢٧هـ، ٢٤/١١/٢٠٠٦م.

ولا مثليّة ولا تشبيه، ولا تجسيم ولا تعطيل، ولا جبر ولا تفويض، وإنّما هو أمرٌ بين أمرين، والجبر مستلزمٌ للظلم، والتفويض مستلزمٌ للعزل، ولا محدوديّة من مكانٍ أو زمانٍ أو غيرهما.

وكما تقول هذه المدرسة بتوحيد الذّات والصفات، تقول بالتوحيد في الفاعليّة والخلق والتدبير والرزق، والتوحيد في التشريع، والتوحيد في العبادة والطاعة، وأن لا عبادة لغير الله، ولا طاعة لأحدٍ إلا بإذنه ومن أجله، وإجمالاً، ليس من حيثيّةٍ من حيثيّات التوحيد الصادق الدقيق إلا وتُلزم به عقيدة هذه المدرسة الّتي تعتمد كتاب الله وسنّة المعصومين عليهم السلام هادياً ودليلاً، ولا تخرج على فطرة الروح والعقل ومسارهما القويم، وتقرّر هذه المدرسة شرط العصمة في الرسول صلى الله عليه وآله وتشخّصه فيه كما في سائر الرسل، تقرّره وتشخّصه في الإمام من بعده بأدلّة قاطعةٍ ساطعةٍ، وتؤمن تمام الإيمان كسائر المسلمين باليوم الآخر وثوابته العقيديّة المشتركة.

وهل في هذا الإسلام من غبشٍ أو كدرٍ حتى يتبرّأ منه من يُفهم من كلامه بأنّ الشيعة على ملّةٍ وقيمٍ ـ والملّة الدين ـ وهو على ملّةٍ وقيمٍ أخرى؟! وأيّ قيمةٍ من قيم الإسلام وأخلاقه الكريمة لا تحتضنها مدرسة التشيّع الحقّ وتُصرّ عليها؟! وهل يستبيح الشيعة من مسلمٍ دماً أو عرضاً أو مالاً؟! أو يخرجون على خُلُقٍ من خُلُق القرآن العظيم والسنّة المطهّرة؟! وليُعلم بأنّ مريدي الفتنة لن يبلغوا مأربهم إن شاء

الله، وسيقابلهم هذا الشعب شيعةً وسنّةً بوعيٍ توحيديٍّ وحدويٍّ يبطل سحرهم، وإنّنا لنطالب النيابة العامّة بتقديم المخرج للشيعة من الإسلام حسب المستظهر من لغة الصحافة المنسوبة إليه إلى المحاكمة لما في ذلك من تحريضٍ على الفتنة الطائفيّة والعنف والإضرار بالمواطنين الشيعةً من أكثر من جانبٍ، ولما فيه من تقويضٍ للوحدة الوطنيّة وزرع روح الكراهية والعداوة الضارية بين المواطنين»[1].

فعلى الرغم من طائفيّته الإيجابيّة الّتي هي بمعنى أنّه يحبّ لطائفته الاستقامة والخير والتقدم، ويحبّ منها ولها العدل، وهو الشيء الّذي يحبّه لكلّ المسلمين، بل ولكلّ إنسانٍ، يقول سماحته:

«أنا واحدٌ من هذا الشعب، ومن الطائفة الشيعيّة الّذي يؤمن بالمذهب الشيعيّ كلّ الإيمان ـ إن شاء الله ـ، وفي نفس الوقت أُعادي الشيعيّ الّذي يحاول أن يثير فتنةً طائفيّةً، وأواجه الشيعيّ الّذي يحاول أن يثير فتنةً طائفيّةً، وأواجه الصحافة الّتي تحاول أن تثير فتنةً طائفيّةً، وأواجه السلطة ما استطعتُ إذا حاولتْ أن تثير الفتنة الطائفيّة، فلنبقَ أخوةً مسلمين متحابّين، فليضعْ كلٌّ منّا يده في يد الآخر من أجل بناء وطنٍ واحدٍ متماسكٍ يعمر بالمحبّة والمودّة، ويسير على هدى الله، وفي طريق الله، وعلى أساسٍ من العدل، وإنّ لي

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٧٠) بتاريخ ٢٢جمادى الأولى ١٤٢٣هـ، ٣/٨/٢٠٠٢م.

وصيّةً واضحةً للحكومة في البحرين وغير البحرين، بأن تأخذ بالعدل وتتمسّك به، وتأخذ بالمساواة وتتمسّك بها، من أجل إقامة بناءٍ وحدويٍّ متينٍ سميكٍ قويٍّ فولاذيٍّ يقف أمام كلّ الأعاصير»[1].

ويقول سماحته أيضاً:

«ومن ناحيةٍ سياسيّةٍ، ومن منطلقٍ مذهبيٍّ، أجدني مع حكومةٍ سنّيّةٍ في سيرتها المنصفة للشيعة والسنّة على السواء، ولستُ مع حكومةٍ شيعيّةٍ في سيرتها المجحفة بحقّ أهل السنّة، إذا وجدتُ الأولى فسأكون معها في سيرتها العادلة، وإذا وجدتُ الثانية فسأكون ضدّها في سيرتها الباغية، ومن ناحية المرشّحين أنا مع مرشّحٍ سنيٍّ يقف مع حقوق الشعب على مرشّحٍ شيعيٍّ يقف ضدّها، هذا صدقٌ، وأنا مستعدٌّ أن أُبرهن عليه في أيّ امتحانٍ في مورده، وأنا أستقي ذلك من وحيٍ مذهبيٍّ»[2].

ويختم سماحته باستنكار الجرائم الطائفيّة، والمطالبة بإنكارها من أيّ مذهبٍ إذا كان مرتكبها من أبنائه قبل أهل المذهب الآخر، وأوصى باحترام الآخر، وبأن تكون الكلمات محسوبةً، والطرح معتدلاً، والمشاعر منضبطةً.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٧) بتاريخ ٧ جمادى الأولى ١٤٢٢هـ، ٢٧/٧/٢٠٠١م.

(٢) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (٢٦٠) بتاريخ ٢ ذي القعدة ١٤٢٧هـ، ٢٤/١١/٢٠٠٦م.

يقول سماحته:

«والصحيح أن تُدان هذه الجرائم النكراء من أهل أيّ مذهبٍ إذا كان مرتكبها من أبنائه قبل أهل المذهب الآخر، إذا كان مرتكب جريمةٍ من هذا النوع شيعيّاً فعلى الشيعة أن يكونوا هم المبادرين لإدانة هذا الجرم حتّى لا يُحمل ردّ الفعل على الطائفيّة، وإذا كان المجرم سنّيّاً كان على الإخوة السنّة أن يكونوا هم المبادرين في الإنكار، وأن يقفوا في وجه الجرم وقفةً حقيقيّةً جادّةً؛ لأنّ رد الفعل الشيعيّ ربما حُمل على الطائفيّة، ومن أراد الاحتراس لبلده من فتنة الطائفيّة أو غيرها فلتكن كلماته محسوبةً، وطرحه معتدلاً، ومشاعره منضبطةً، آخذاً على نفسه احترام الآخر قبل اشتعال نار الفتنة، فربّ كلمةٍ أشعلت ناراً لا تنطفئ إلا بعد أكوام من الكوارث المهولة، وربّ خبرٍ كاذبٍ مغرضٍ ودعايةٍ سيّئةٍ في هذا الباب أشعلتْ نار حربٍ ببلدٍ فأحرقته»[1].

والحمد لله أوّلاً وآخراً.

---

(١) آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم، خطبة الجمعة (١٩٦) بتاريخ ١٣ ربيع الأول ١٤٢٦هـ، ٢٢/٤/٢٠٠٥م.

عبق الشهادة والحياة الخالدة

تمهيد

الشهادة مدرسة منطلقها القرآن الكريم، وقد رسخها شهيد كربلاء الإمام الحسين عليه السلام كمشروع لإعلاء كلمة الله عز وجل، فدمه الطاهر الزكي أجج النفوس بعشق الشهادة وطلبها، ففي طلبها لأجل إعلاء كلمة الله عز وجل تحصيل لمرضاة الله عز وجل وسمو الروح وكمالها ورفعتها.

وفيما يلي نستلهم فكر الشهادة وفقهها من كلمات سماحة آية الله الشيخ عيسى أحمد قاسم حفظه الله، وهو العالم الرباني العامل المجاهد الذي عشق الشهادة لإعلاء كلمة الله عز وجل فأبى الله عز وجل إلا أن يجعله منار هداية للمؤمنين العاشقين للشهادة، ومنبع وعي يغذي العقل والقلب ويسمو بالروح نحو كمالها في طريق الله عز وجل.

حقيقة الشهيد

الشهيد إما أن يكون بمعنى عظيم الشهادة ومقبول الشهادة وأمين الشهادة، وإما أن يكون بمعنى كما يذهب

إليه صاحب المصباح «مشهود» وهو مشهود بشدة وعناية والتفات كبير، وإذا كان مشهودا فهو مشهود من الملائكة في غسله أو في نقله إلى الجنة، وإذا كان بمعنى المبالغة من فاعل بمعنى شديد الشهادة، فذلك لأن الشهيد وصل من درجة الأمانة والنزاهة والمقبولية عند الله سبحانه وتعالى أن شهادته معتمدة، وأنه يشهد على جماعته وأمته، ويشهد على الأوضاع، ويشهد بما هو عدل في الناس وبما هو ظلم، وهذا يعني منزلة عظمى، وروحا قد طهرت وحلق في سماء المجد، فالمقام مقام رفيع من حقه أن يغبط عليه صاحبه[1].

مقوم الشهادة

ما هو مقوم الشهادة؟ كل الآيات تتحدث عن القتل في سبيل الله، فالشهادة ليست قتلا فحسب وأي قتل؟ وإنما هي قتل في سبيل الله، وكيف يكون السبيل سبيل الله؟ يكون ذلك بأن يكون الهدف إلهيا، دفع ظلم، طرد كفر، تصحيح وضع عالمي، أن يكون الهدف هو شيء مما توافق وتدعو إليه الشريعة من أهداف، وهو هدف طولي، والهدف الأول والأصل والمحرك بالذات هو طلب مرضاة الله سبحانه وتعالى لهذه النفس المضحية، وقضية عزة الدين، وعزة المؤمنين، ورفع حالة الفساد والظلم والكفر. هذا الهدف هو

---

(١) محاضرة تحت عنوان في رحاب الشهداء - ٤جمادى الأول١٤٣١هـ - الموافق ١٦/ ٤/ ٢٠١٠م - مأتم سار - البحرين.

طولي وثانوي ويأتي بالدرجة الأولى ولأنه واقع في طريق مرضاته سبحانه و تعالى[1].

الشهادة موت اختياري واع

معروف أن الأب حينما يقدم فلذة كبده، وأن المرء حينما يندفع بقوة إلى الموت ليس أمرا سهلا، ولكنه مع ذلك يسهل على نفوس أحبت الله وعشقته، وآمنت بقيمة دينه وصدق وعده، وأدركت بُعدَ الآية الكريمة ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾[2].

وفي هذا الصدد كانوا يتمنون القتال ويتمنون خوض المعركة ـ بنوا إسرائيل ـ ولكن الآية تقول: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا﴾[3]، فلابد أن يكون هناك رصيد عقلي، ورصيد نفسي، ورصيد روحي ضخم يسهل طريق الشهادة حتى لَيَصِلَ أصحاب الإيمان القمة، إلى حالة عشق صادقة وليس على مستوى الكلمة في قضية الشهادة. فكان أهل كربلاء من أنصار الإمام الحسين عليه السلام يتهافتون على الموت تهافت الفراش، والظاهر أن صدق إيمانهم ـ حتى بلا أمر غيبي زائد ـ يكشف لهم عن مواقعهم في الجنة[4].

---

(١) محاضرة تحت عنوان في رحاب الشهداء ـ ٤جمادى الأول١٤٣١هـ ـ الموافق ١٦/ ٤/ ٢٠١٠م ـ مأتم سار ـ البحرين.

(٢) سورة البقرة الآية ٢١٦.

(٣) سورة البقرة الآية ٢٤٦.

(٤) محاضرة تحت عنوان في رحاب الشهداء ـ ٤جمادى الأول١٤٣١هـ ـ الموافق ١٦/ ٤/ ٢٠١٠م ـ مأتم سار ـ البحرين.

الشهادة لقاء مع الله عز وجل

عن الإمام علي عليه السلام: «من الرائح إلى الله كظمآن يرد الماء»[1]، من الذي يريد لقاء الله؟ من هذا الذي يفتش عن لقاء مع حبيب مع الله؟ وهل ذهابه ذهاب عادي أو بصورة خاصة؟ ومن هذا الذي يشتهي رحمة الله؟ ويود أن يقرب من عناية الله، ولطف الله، وأن يكون في حماه وأمنه ووقايته وبحبوة كرامته، أتعشق؟ أتحب؟ فيا طلاب الجنة فهي «تحت أطراف العوالي اليوم تبلى الأخبار»[2] وهي النفس التي هامت في حب الشهادة، واستولى حب الشهادة على كل أقطارها، نفس علي عليه السلام وأمثال علي عليه السلام، ويقسم ولا يقسم إلا صادقا «والله لأنا إلى لقائهم أشوق منهم إلى ديارهم»[3] الآخرون وقد توعدهم الموت ورأوا شبح المنية يشتد شوقهم إلى الديار، أما علي عليه السلام فهو أشوق إلى لقائهم ليشتد في سبيل الله من شوقهم إلى ديارهم.

إن كل مصيبتنا في تلوث ذواتنا؟ وأن نقص الشعور بالسعادة في أي نفس وراءه نقص في النفس، ولو طهرت النفس من كل أدرانها وأقذارها لما شاب شعورها بالسعادة شوق.

إن غفران الله يعني تطهير الذات وغسلها من كل

---

(١) نهج البلاغة، ص١٨١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

أقذارها، وإذا ما غسلت ذات إنسان من كل الأقذار كانت تلك اللحظة التي تشعر فيها بالمعنوية التامة، وبالسعادة التامة، وبالخلو من أي مكدر من المكدرات، كيف لا وهي إذا خلت من الأكدار صارت ترى الله، تنشد إليه، وهل تشعر نفس بالخوف وقد انشدت لله في رضا عنها، وهل تشعر بالفقر أو تشعر بما يهددها، هنا لا شعور بنقص في ظل الانشداد والارتباط بالله وفي ظل الشعور بمرضاته سبحانه وتعالى.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «من قتل في سبيل الله لم يعرفه الله شيئا من سيئاته»[1]، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: «الشهادة تكفِّر كل شيء إلا الدين»[2]، فإذا كفرت الذنوب وغسلت الذات من أقذارها تمت مواقعة السعادة[3].

الحياة الحقيقية الخالدة

حياتنا فيها فرح وحزن، ولا تمر لحظة فرح إلا وأعقبتها لحظة هم وغم، ولحظة تطفح فيها ولحظة تركس، ومرة تكبر ومرة تصغر، و أسباب الفناء تتهددك، والآلام تأتيك من هنا وهناك، وأنت مسؤول من لحظة الصباح حتى تغفو العين تتحمل مسؤوليات ضخمة، وكل لحظة محسوبة عليك.

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٩ ص٤٧٩.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٢ص١٥١٤.

(٣) لقاء مع عوائل الشهداء ـ ١٢ شهر رمضان١٤٣٢هـ ـ الموافق ١٣/٨/٢٠١١ ـ مأتم سار ـ البحرين.

إذا ذهبوا إلى رضوان الله، وإذا كانوا في حياة أخرى أرقى من هذه الحياة، والموت في الإسلام لا يعني نهاية الحياة، ولا يعني الفناء، يعني نشأة في طول نشأة، حياة بعد حياة، عالما جديدا بعد عالم، كما كنت ابن بطن أمك، كما كنت في الإطار الضيق من عالم الرحم، ثم انتقلت إلى نشأة أفسح مجالا، وأكبر امتددا، وأوسع أفقا، أنت كذلك هنا في رحم ضيق من الحياة ستنتقل إلى فضاء أكبر وأوسع، فالروح محبوسة من حدود البدن ومؤثر عليها من المادة، ولكن هناك الروح طليقة، وأفق اطلاعك أوسع، وأنت هناك تشرف من أفق أعلى وأرفع، فالموت ليس نهاية الحياة، وإنما هو بداية حياة أكبر وأوسع. وعلينا أن نستعد لتلك الحياة، وشروط تلك الحياة وأوضاعها ولذائذها وآلامها غير ما نحن عليه الآن، وكما كان هناك تغير واسع بين حياة الرحم، وبين الحياة على الأرض في وجودنا، سنشاهد عالما جديدا حين ننتقل من هذه الدنيا إلى عالم الآخرة[1].

أنماط الحياة وقيمتها

منّا من يستمسك بهذه الحياة لأنه لا يرى حياة بعدها، بجمالها لأنه لا يرى جمالاً وراء جمالها، بامتدادها لأنه لا يؤمن بامتداد في طولها، يراها كل شيء في وجوده ويرى أن

---

(١) لقاء الوفاق الرمضاني ـ ٩ شهر رمضان ١٤٣٤هـ ـ الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م ـ مأتم سار ـ البحرين.

لا وجود له إلا بها، وهو هنا لابد أن يستمسك بها ولابد أن يتهالك عليها ولابد أن يضحي بكل شيء لأجلها، منا من ينهزم في هذه الحياة بمغرياتها، بلذائذها، بمظاهرها، يخسر إرادته، يخسر إحساسه بقيمة نفسه، ويخسر شعوره بانتمائه لربه، يخسر كل جمال في كيانه نزولاً عند رغبته في هذه الحياة فيقبل أن يذل، ويقبل أن يهان، ويقبل أن ينسحق من أجل يوم من أيام هذه الحياة.

منا من يحب هذه الحياة ولكنه ينهزم أمامها، لأنه لا يصبر على محنها فيحاول بكل محاولة واندفاعة مجنونة أن يضع حداً لحياته على الأرض، لا لأنه لا يحب الحياة، وإنما لأنه لا يتحمل مشاكل الحياة فتكبر على نفسيته، وعلى إرادته، فيخسر إرادته أمام ضغط الحياة.

ومنا من يقيم لهذه الحياة وزناً عالياً، لا لأنها أنفاس تذهب وتجيء، ولا لأنها أوقات على الأرض يتمتع فيها بمأكل أو مشرب، ولا لأن زينة الحياة تغريه، وإنما لأنه يرى كل لحظة من الحياة ذات قيمة عالية في صناعة وجود جديد قافز في وجوده، يرى في كل لحظة فرصة بأن يتقدم من خلالها في مستواه، وأن يقرب شيئاً ما من خالقه، أن يعظم شعوره بذاته في ظل شعوره بقيمة إيمانه، يرى في كل لحظة من لحظات الحياة فرصة لنمو وزكاة وعلو وسمو في ذاته، وهو يرى أن قيمة الحياة من قيمة ما يمثل أمام ناظريه من هدف الوصول إلى رضوان الله، وإلى جنة فيها يقظة الروح، وفيها سمو الروح، وحياة الروح، وفيها الصفاء

والنقاء والخلو الكامل من الشوائب، لذلك والحياة عزيزة عليه يسهل عليه أن يضحي بالحياة، الحياة عزيزة عليه لأنها مجال صناعة ذاته، ولأنها فرصة التقدم بمستواه، ولأن مستقبله من صناعة نفسه في هذه الحياة، وتسهل عليه هذه الحياة بكل ما لها من قيمة عالية إذا كان إنهاؤه لحياته مختاراً، متقدما للسيوف والرماح، فاتحاً صدره للرصاص إذا كان ذلك مقدمة لنيل الهدف الأكبر الأعظم، الذي منه تستمد الحياة قيمتها، ألا وهو رضوان الله، ألا وهو جنة الخلد التي هي عنوان مرضاة الله[1].

الشهيد والرجوع للحياة الدنيوية

تمني الرجوع إلى الدنيا، هناك نوع واحد فقط من الناس وهو نوع الشهيد، عن رسول الله ﷺ: «ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما عليه على الأرض من شيء غير الشهيد»[2]، كل أصحاب الجنة لو عرض عليهم أن يعودوا إلى الدنيا وأن لهم كل ما في الدنيا فلا يحبون العودة إلى الدنيا، تسقط قيمة الدنيا بكل قصورها وحقولها وجمالها وتتلاشى وتذوب في النفس ولا تساوي شيئا، لكن الشهيد يكون له شوق للعودة للدنيا، لم؟ هل لأن الدنيا كبيرة في نظره وقد استشهد وهو هازئ بها، وهو مستعلٍ عليها،

---

(١) لقاء الوفاق الرمضاني ـ ٩ شهر رمضان ١٤٣٤هـ ـ الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م ـ مأتم سار ـ البحرين.

(٢) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٢ص١٥١٥.

وقد سقطت في نفسه حينما رأى الآخرة؟ ليس هذا هو الوجه الصحيح لتمنيه، فلماذا يتمنى العودة إلى الدنيا؟

«ما من أحد يدخل الجنة يحب أن يرجع إلى الدنيا وأن له ما عليه على الأرض من شيء غير الشهيد فإنه يتمنى أن يرجع فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة»[1]، من كرامة الشهادة، فالشهادة أعطته كرامة خاصة، أعطته منزلة مقنعة، جاءت بنتيجة فوق ما يتصور، فحق له أن يعشق ما به تلك الكرامة وأن يتكرر ما به تلك الكرامة، وأن يتكرر ما به ذلك الفوز العظيم عند الله سبحانه وتعالى[2].

الفرار من ميادين الشهادة

الشهيد حي غير ميت وكل خوفنا من الموت، القرآن الكريم يطمئن الشهيد بأنه ليس بميت، حي بحياة سعيدة، يشعر فيها بالشعور الكريم الآمن، ويرزق رزقا حسنا من الله سبحانه وتعالى، وهي بداية حياة سعيدة كريمة ومن هنا فليعشقها العاشقون.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[3]، ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[4].

---

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٢ص١٥١٥.

(٢) لقاء مع عوائل الشهداء ـ ١٢ شهر رمضان١٤٣٢هـ ـ الموافق ١٣/٨/٢٠١١ ـ مأتم سار ـ البحرين.

(٣) سورة آل عمران الآية ١٦٩.

(٤) سورة الملك الآية ٢

فالبر هو الخير، وقيمة الإنسان هو ما يأتيه من خير، وإذا كانت الشهادة هي البر الذي ليس فوقه بره، فأنت يا شهيد من أحسن الناس عملا، وكل اختبار الحياة وتحدياتها إنما هو من أجل أن تتجلى الذات الأحسن عملا من غيرها.

عن رسول الله ﷺ: «فوق كل ذي برٍ برٌ حتى يقتل الرجل في سبيل الله، فإذا قتل في سبيل الله فليس فوقه بر»[1]، لا يوجد درجة أرقى من هذا البر، وقد تفر النفس من الشهادة مخطئة بتصور بأن فرارها من ساحات الشهادة أياما تبقيها في هذه الحياة.

يأتي الحديث عن أمير المؤمنين عليه السلام ليعالج جنبة الضعف النفسية في مثل هذه النفس: «أن الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه»[2]، فهنا تأكيد على أن الفرار من ساحات وميادين الشهادة لن يضيف للعمر ولا لحظة واحدة على الإطلاق فلماذا الفرار؟ فهناك يوم ينتظرنا في ساحات الجهاد أو على الفراش ولنختر. هناك نفوس هامت في الشهادة وعشقتها كل العشق حتى صارت غاية مطلوبة لها تفتش عنها في كل المسالك والدروب[3].

---

(١) الكافي، الشيخ الكليني، ج٤ ص٦٤.

(٢) نهج البلاغة، ص١٨١.

(٣) لقاء مع عوائل الشهداء ـ ١٢ شهر رمضان١٤٣٢هـ ـ الموافق ١٣/٨/٢٠١١ ـ مأتم سار ـ البحرين.

الحياة الفانية والرحيل المحتوم

والناس أجناس هناك من تقول عنهم الأية الكريمة ﴿يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[1]، يأسفون، ويعضون يد الندم، وتكبر كارثتهم أن وجدوا أنفسهم في ساحة القتال في سبيل الله يتهددهم الموت، تنتهبهم السيوف والرماح! الآية الكريمة تنبه على أمر وهو قدر مقدور ذلك هو الأجل المحتوم الذي لا يؤخر ولا يقدم ولا تحول بين المرء وبينه كل الوسائل والتحولات.

هناك لحظة ـ سهُل علينا أو صعب، ساغ لنا أم لم يسغ، حَلَت أو مَرّت في المذاق ـ لابد أن نواجهها، لحظة الرحيل من هذه الأرض، والمسألة ليست مسالة أن نرحل وإنما كيف نرحل؟ وإلى أين نرحل؟ وبأي خاتمة يكون رحيلنا من هذه الحياة.

الفرار من القتل، والفرار من ساحات الجهاد، والنكوص إلى الخلف، والتقوقع والهروب والبحث عن الملاجئ، والبقاء وراء الجدر، والبحث عن الستور كل ذلك لا يستر عن الموت ولا يحمي منه، هي لحظة لابد أن نواجهها ونعانقها ولابد أن تفرض نفسها علينا، ولحظة أن يأتي وقت الرحيل نبرز قهراً إلى القتل من المضاجع.

---

(١) سورة آل عمران الآية ١٥٤.

تقول الكلمة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إنَّ الفار لغير مزيد في عمره»[1] فهو يطلب بالفرار أن يزيد يوما واحدا أو أكثر في عمره، إلا أن الحق أن فراره لن يزيد من عمره ولا لحظة.

فالكلمة عنه عليه السلام تقول: «إنَّ الفار لغير مزيد في عمره ولا محجوز بينه وبين يومه»[2] فلا قلاع، ولا قصور، ولا ترسانة أسلحة، ولا حرس، ولا جنود، ولا فرار، ولا جُبن يمكن أن يحمي من لحظة الموت، وعلينا أن نختار كيف نموت؟

فالإيمان يؤسس لشجاعة، ولجرأة، لإقدام، لعدم حسابٍ للموت الذي لابد له من هجمة على الانسان. النصوص الدينية تقول لك: لا تخسر قضيتك، ولا تخسر مستواك، وإيمانك، وعزتك، ولا تخسر إنسانيتك، ولا تخسر مستقبلك لخوف الموت. عقدة خوف الموت اطرحها عنك وتخلص منها، حين تعلم أنك لابد أن تموت، ولا فرار من الموت، وأن يومك لا مؤجل له أو معجل، وحين تعلم أنه لا بد من نهاية، وأن الناس كل الناس لا يملكون بكل ما أوتوا من قوة وحيلة أن يمدوا في أجلك لحظة، أو يتقطعوا منه لحظة فإنك هنا وأمام هذه القدر المحتوم لابد أن تنطلق في هذه الحياة بقوة، إذا كنت قد علمت أنك لن تسطيع بتوقفك أن تمد في عمرك، وأن تقدمك إلى ساحات الجهاد لن يبتر من عمرك شيئا.

---

(١) نهج البلاغة، ص١٨١.

(٢) المصدر السابق.

إن قضية الإيمان لتؤسس للشجاعة والجرأة [و]الإقدام. والكلمة عن الإمام عليه السلام تقول: «أزمع الترحال عباد الله الأخيار»[1] فهم أصحاب تصميم، وهناك أناس يفرون من الموت فيفاجئهم، أما هؤلاء فقد عزموا، وصمموا، وقد أعملوا الاختيار على الرحيل من هذه الحياة، فرارا، وهروباً، وانهزاما أمام ضغوطات الحياة؟؟ لا. وهم يستعظمون هذه الحياة، ويعتزون بها، ويرون بأن اللحظة من الحياة يمكن أن تتقدم بالإنسان مستويات، وهم يرون كل ذلك يعزمون على الترحال من هذه الحياة من أجل الهدف العظيم الذي خلقت الحياة من أجله ألا وهو كمال الذات، وتنور الذات، شفافية الذات، وسلامة الذات، وصحة الذات، ورقيها وعلوها وسموها وذلك بالقرب من الله سبحانه تعالى.

والكلمة عن الإمام عليه السلام تقول: «أزمع الترحال عباد الله الأخيار وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى»[2] فما في الدنيا يحمل صفتين، أنه قليل مهما كثر، وهزيل وضئيل مهما عَظُم. فما الموجود في الدنيا ؟ قصور؟ حقول؟ مواقع؟ جمال حسي؟ شهرة؟ فقسه بالآخرة فهو قليل، قسه بنفعه فهو قليل، قسه بما له من أثر نفع وأثر ضر تجده قليلا، ثم أنه لا يبقى.

الدنيا تتخلى عن أهلها وهم فيها، فتنحسر الشهرة،

---

(١) نهج البلاغة، ص١٨١.

(٢) نهج البلاغة، ص١٨١.

ينقلب رضا الجماهير إلى غضب ـ بحق أو من غير حق ـ ، إذا كان يريد عبادة الدنيا وأهل الدنيا فهو خاسر، الدنيا تتخلى عن أهلها وهم فيها، موائده فيها ما لذ وطاب ولكنه عنها محروم لمرض ما، يستطيع أن يضع يده على صور ونماذج جمالية كبيرة إلا أنه لا جدوى في ذلك، فيحرم كثير من الأكل وهو موجود، وهو يجده، ويحرم الجنس وهو يجده، ويحرم حتى الشهرة واللذة حين يبقى في المشفى لعشر سنوات مغما عليه، فما تجدي الشهرة وإعجاب الجماهير؟

والكلمة عن الإمام عليه السلام تقول: «أزمع الترحال عباد الله الأخيار وباعوا قليلاً من الدنيا لا يبقى بكثير من الآخرة لا يفنى»[1] إذا كان ملكُ أقل من في الآخرة من أهل النعيم ملكا بمقدار الدنيا، فهل يملك أحد في الدنيا، الدنيا بكاملها؟ وكم له من منازع فيها؟ وكم له من مشاغب في الملك، وكم يتهدده في هذا الملك؟ وكم سيبقى لهذا الملك؟ وصفتان أخريان موجودتان في الآخرة وهما البقاء والكثرة.

يقول عليه السلام: «ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين أن لا يكونوا أحياء؟»[2] وما ضر إخواننا الذين سفكت دمائهم في البحرين في سبيل الله أن لا يكونوا

---

(١) نهج البلاغة، ص١٨١.

(٢) المصدر السابق.

أحياء؟ ماذا فقدوا؟! ماذا فقدوا؟ أكل؟ شراب؟ وهل بقي لنا وماذا زدنا عليهم من ملذات الدنيا؟[1].

طلب العزة ببذل الدم

١. ما من أمة تطلب عزتها إلا وعليها أن تبذل من دمها، والأمة التي تبخل بالدم إنما تتخلى عن عزتها وكرامتها واستقلاليتها وتقبل بالذل والهوان، فالناس لا يرحمون. في الأرض كفر، وفي الأرض نفاق، وفي الأرض أهل تسافل ومطامع دنيوية وعدوانية شرسة، فالأمة التي تمتنع أن تضحي وأن تبذل وأن تعطي من دمها فلتستعد لموقع الذل والهوان والتبعية الخسيسة.

٢. الأمة تسلب حقوقها، وتستباح أرضها، وتمتلك عليها ثروتها، ويذل أبناؤها، إذا أرادت أن تستعيد الحق المسلوب فالثمن هو الدم المسفوح، وحيث لا تعطي هذا الدم تبقى حقوقها مضيعة مسلوبة، ويبقى موقعها موقع الذل والخزي والهوان. والأمة الإسلامية لن تعود إلى موقعها ولن تتحرر وتتوفر على استقلاليتها وإرادة التصرف الحر في ذاتها وثرواتها وتربية أبنائها إلا بأن تتعلم العطاء والشهادة وتحصل حالة عشق واع لقضية الشهادة.

٣. القتال مر، والإقدام على الموت ثقيل، وكلفة

---

(١) لقاء الوفاق الرمضاني ـ ٩ شهر رمضان ١٤٣٤هـ ـ الموافق ٢٠١٣/٧/١٧م ـ مأتم سار ـ البحرين

الجهاد عالية، وبهذا الصدد تقول الآية الكريمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[1]. طلب الشهادة والاستعداد للشهادة وتوطين النفس على الشهادة فيه كلفة، الإقدام على الموت في سوح الجهاد فيه ثقل ولكنه خير للأمة، وهو من الخير الذي ربما كرهته نفوس، ولكن لا قيمة لحياتها، ولا تتوفر على عزتها، ولا تبلغ المجد، ولا تنال الحرية والاستقلال، ولا تكون عند مرضاة الله سبحانه وتعالى إلا بارتكاب هذا المكروه ـ أي الذي تكرهه بعض النفوس ـ[2].

الشهداء خسرتهم الدنيا وربحتهم الآخرة

ويقول الإمام عليه السلام: «أين إخواني الذين ركبوا الطريق ومضوا على الحق؟»[3]، يتأسف لهم لفراقهم، فقد خسرتهم الحياة، فمن استشهد في سبيل الله فليس أربح منه للحياة، ولكن الحياة خسرته، فلا بد أن نأسف لشهدائنا من هذا المنطلق، لأنهم نماذج تُعلمنا الإقدام في سبيل الله، والجرأة في سبيل الله، وأن نسترخص النفس في سبيل الله، وأن لا يكون لنا اعتزاز بشيء كما هو اعتزازنا بالدين وبالله تبارك وتعالى.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٦.

(٢) محاضرة تحت عنوان في رحاب الشهداء ـ ٤جمادى الأول١٤٣١هـ ـ الموافق ١٦/ ٤/ ٢٠١٠م ـ مأتم سار ـ البحرين.

(٣) نهج البلاغة، ص٢٦٤.

«الذين تعاقدوا على المنية»[1] فمن الناس من يفر من الحياة هزيمة، ومنا من يفر من الحياة أسفا عليها، هؤلاء تعاقدوا على المنية من منطلق الوعي الذي لا تقف أمامه حدود زمن ولا حدود مكان ولا حدود من أي شيء، وعي يعانق الحق، ومن منطلق الوعي والإدراك الدقيق والتقييم الصائب والرؤية المنفتحة والهدى البين والرشد التام، ومن منطلق الإيمان اللاهب، من منطلق اليقين بالربح في التجارة مع الله، من منطلق اليقين بأن الحياة الدنيا لا تساوي جناح بعوضة من قيمة الآخرة، من منطلق هذا كله، ومن منطلق العشق الإلهي، والهيام في حب الله، فقد تعاقدوا على المنية ويريدون الموت؛ لأنه ليس موتاً وليس نهاية وإنما هو مبدأ حياة، وأرقى، وأسمى، وأخلد، وأطهر حياة.

حياة تنقلهم إلى عالم يجدون فيه ملأهم الطيب من غير خليط، ويجدون فيه صفوف الأنبياء والمرسلين والأئمة الهداة، كفى هذا لذة، وكفى هذا نعيما، وكفى هذا سعادة. ليس فيها من يعوي لأنه ذئب، وليس فيها من ينهق لأنه حمار، وليس فيها من يزأر لأنه أسد مفترس، وليس فيها من ظالم فالظالمون معزولون، والسفلة معزولون، والسقطة معزولون.

إن الروح الطيبة لتنقل إلى ملأ طيب، تجدهم حلقات ـ كما في بعض الخبر ـ في وادي السلام يتحادثون ويتعاطون

---

(١) نهج البلاغة، ص٢٦٤.

الحديث الملذ[1] حلقا حلقا وكأنهم الشموس، فتعاقدهم على المنية من هذا المنطلق.

«وأبرد برؤوسهم إلى الفجرة»[2]، الأرواح صعدت إلى الله، والروؤس أين أبرد بها وأين أرسلت؟ إلى الفجرة، فرأس النبي يحيى عليه السلام أرسل إلى زانية، وهذا لا يضر فالروح صعدت إلى الله، والتقت بملأ الأطهار، وصارت في معشر الملائكة والأنبياء والمرسلين، تصابح وتماسي أطهر الأرواح والنفوس[3].

شهداء العزة والكرامة

يقول عليه السلام: «ما ضر إخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين أن لا يكونوا أحياء؟»[4]، ونحن نقول: ما ضر أخواننا الذين سفكت دماؤهم في البحرين في سبيل الله أن لا يكونوا أحياء؟ إذا ذهبوا على طريق الله، من أجل الله، من أجل نصرة دين الله، من أجل العزة بالله، من أجل كرامة الإيمان والإنسانية والانتماء إلى الله التي لا يأذن الله عز وجل بالتنازل عنها. من جهة هم ليسوا متضررين، وإنما هم في فوز ونجاح ورقي، ومن جهة أخرى يتألم علي عليه السلام لهم

---

(١) مَلَذٌ، وهو موضع اللذة، من لَذَّ الشيءُ يَلَذُّ لَذاذة، فهو لذيذ أي مشتهى.

(٢) المصدر السابق.

(٣) لقاء الوفاق الرمضاني ـ ٩ شهر رمضان ١٤٣٤هـ ـ الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م ـ مأتم سار ـ البحرين.

(٤) نهج البلاغة، ص٢٦٤.

لفراقهم، يعز عليه أن فارقهم لأنهم أنوار في الحياة، وهداة في الحياة، ونماذج إنسانية رفيعة تعلم الحياة، وبهم تأنس الحياة، وبهم ترقى وتشف وتتقدم الحياة[1].

فقه الشهادة

وحين نحب الشهادة حبا أعمى لا يقوم على بصيرة، حباً مفصولاً عن وعي الدين، وعن قيمة الدنيا وقيمة الآخرة، وعن حرمة الدم ومتى يسترخص الدم، ومتى يُتمسك بقيمةِ الدم؟ متى يرخص الدم ومتى لا يرخص؟ ومتى يجوز سفح الدم الكثير ومتى لا يجوز سفح قطرة دم؟ فما لم نمتلك فقه الشهادة، وقيمة الشهادة، وشروط الشهادة، وما لم نتعرف الراية التي تصدقُ في ظلها الشهادة، فما لم نتوفر على كل ذلك ستكون الشهادة مذبحا من مذابحِ الأمم، وباعث فوضى في داخل الشعوب والأمم.

بعنوان الشهادة يقتل أبرياء وأطفال، يحرق من يحرق، وينحر من ينحر، وتقوم تفجيرات في أسواق ومساجد وكله بعنوان الشهادة!! لا يكفي أن نقدس شعار الشهادة، وأن نرفع شعار الشهادة، وأن نمكن لشعار الشهادة لعنوان عائم غامض ضبابي ومن غير خلفية فكرية واضحة، وبصيرة ورؤية دينية جلية، وتعرُّف دقيق على قيمة وشروط الشهادة والراية

---

(١) لقاء الوفاق الرمضاني ـ ٩ شهر رمضان ١٤٣٤هـ ـ الموافق ١٧/٧/٢٠١٣م ـ مأتم سار ـ البحرين.

التي تكون في ظلها الشهادة، من غير ذلك ستكون الشهادة عامل تدمير وتحطيم، وستسيء للإسلام كثيرا.

علينا أن ننجب أجيالاً متوالية ممن يغني بحب الشهادة ويذوب فيها، ويعي قيمة الشهادة، ويحمل فقه الشهادة، ويميّز بين الراية التي تصدق في ظلها الشهادة، والراية التي لا تصدق في ظلها الشهادة[1].

وظيفتنا الإعداد لثقافة عشق الشهادة

الشهادة مطلب عظيم، وشروطها ثقيلة، وقضية سيلان الدم وخسارة الجسد دمه ليس هو أكبر ما في الشهادة، بل هو أقل ما فيها. الشهادة سمو روح، وعي عقل، طهر قلب، سمو إرادة، شوق حي طاهر عارم إلى الله، رؤية كونية ممتدة منفتحة تكسر كل الحواجز وتخترقها وتعبر كل الحدود.

فمسؤوليتنا أن نربي أنفسنا، وأن نربي أبناءنا وبناتنا على حب الشهادة، لِدوا وأنجبوا شهداء، وإنجاب الشهداء يحتاج إلى عمل تربوي جاهد، يحتاج إلى إمدادٍ علمي، ونضج عقائدي، وطهارة نفس، وسمو قلب، ورشد.

حب الشهادة لا يتم مع حب الدنيا، علينا أن نصحح حبنا للدنيا، بحيث نعطي حبنا للدنيا صورته الصحيحة،

---

(١) لقاء الوفاق الرمضاني ـ ٩ شهر رمضان ١٤٣٤هـ ـ الموافق ١٧/ ٧/ ٢٠١٣م ـ مأتم سار ـ البحرين.

فنلعش ونحب البقاء في الدنيا، والتمتع فيها وإعمارها، ولكن كل ذلك يجب أن يكون في ضوء الهدف، ومن أجل أن تسموَ الروح، وأن يكون كل ذلك في خدمة الروح وخدمة الهدف من أجل الوصول إلى الله سبحانه وتعالى.

مطلوب منا أن تنمو الدنيا على يدنا، أن نزرع الدنيا ونبنيها، أن تشمخ الدنيا ببنائنا، وأن تكون دنيانا أعرض من دنيا الآخرين، وأقوى من دنيا الآخرين، وأسعد من دنيا الآخرين، ولكن من دون أن نخسر أنفسنا، من دون أن نكون عبيداً للدنيا، يجب أن نكون الأحرار الذين تتعاظم الدنيا على أيديهم ومن أجلهم وتحت أمرتهم، فيكونوا حكام الدنيا لا من تحكمهم الدنيا بجبروتها.

حب الشهادة لا بد منه، وإلا فإن الشعب أو الأمة التي لا تعشق الشهادة، ولا يسهل عليها ركوب طريق الشهادة، ولا تعرف المراسَ الذي تتطلبهُ ميادينُ الشهادة، أمة لا بد أن تكون مهزومة أمام الأمم الأخرى، يكون شعب لا بد أن يخسر نفسه وحريته وكرامته وحياته، فلا بد من حب الشهادة[1].

حظ الجريح في سبيل الله

وما حظ الجريح؟ عن رسول الله ﷺ: «من جرح في

---

(١) لقاء الوفاق الرمضاني ـ ٩ شهر رمضان ١٤٣٤هـ ـ الموافق ٢٠١٣/٧/١٧م ـ مأتم سار ـ البحرين.

سبيل الله جاء يوم القيامة ريحة كريح المسك، ولونه كلون الزعفران عليه طابع الشهداء[1].

ختاماً

«ومن سأل الله الشهادة مخلصاً أعطاه الله أجر شهيد وإن مات على فراشه»[2]، فليكن الموت على الفراش ولكن النفس إذا كانت متعلقة حقا وصدقا وحقا بالشهادة، وقد توجهت لله سبحانه وتعالى تسأله الشهادة في سبيله فإنها توفى أجرها الكريم بأن يعطي الله عز وجل [طالب] الشهادة صادقا أجر شهيد وأن مات على فراشه.

---

(١) ميزان الحكمة، محمد الريشهري، ج٢ص١٥١٨.

(٢) المصدر السابق.

المصادر:

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ تحف العقول عن آل الرسول ﷺ، الحسن بن علي بن شعبة الحراني، جماعة المدرسين ـ قم، الطبعة: الثانية، ١٤٠٤ هـ.

٣ ـ الكافي، محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني، دار الحديث ـ قم، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ.

٤ ـ نهج البلاغة، الشريف الرضي، تحقيق صبحي الصالح، الهجرة ـ قم، الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ.

٥ ـ القيادة في الإسلام، الشيخ محمد محمدي ريشهري.

٦ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، محمد باقر المجلسي، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ.

٧ ـ المصطلحات السياسية الشائعة، فهد عبدالله المالكي.

٨ ـ القاموس السياسي، وضع أحمد عطية.

٩ ـ موسوعة السياسة، عبدالوهاب الكيالي.
١٠ ـ في ظلال القرآن، سيّد قطب.
١١ ـ السنة والشيعة ضجة مفتعلة، فتحي الشقاقي.
١٢ ـ ميزان الحكمة، محمد الريشهري، دار الحديث - قم، التنقيح الثاني، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.

دار الفقيه المقاوم

لحفظ ونشر آثار آية الله قاسم

هناك أولويات في القراءة ولا بد من قراءة الفكر الإسلامي أولا، لا بد أن تتغذى بالفكر الإسلامي من مصادره الأصيلة، ومن مدارسه المعروفة المشهورة المسلَّم لها إسلاميتها، ومن بعد ذلك لك أن تقرأ ما تحتاجه من أجل مواجهة الباطل ومن أجل الاستفادة من الفكر الآخر في بعض زواياه ... وحتى داخل الفكر الإسلامي لابد من الأخذ بالأولويات وأول كل الأوليات في داخل الفكر الإسلامي: هو ما يصحح للإنسان عقيدته ويعرّفه بربه سبحانه وتعالى .

سماحة آية الشيخ عيسى أحمد قاسم (حفظه الله)

خطبة الجمعة (١٥) ٢١ ربيع الثاني ١٤٣٢هـ - ١٣-٧-١-٢٠١١م

ISBN 978-614-420-198-5

9 786144 201985

دار الولاء

لصناعة النشر

بيروت - لبنان، برج البراجنة، الرويس، شارع الرويس

Mob: 00961 3 689 496 I TeleFax: 00961 1 545 133 I P.O. Box: 307/25

info@daralwalaa.com I daralwalaa@yahoo.com I www.daralwalaa.com